

مكتبة مصر
أحلام نابليون
علي أحمد باكثير



أحلام نابليون

تأليف

علي أحمد باكثير

دار مصر للطباعة

سعيد جودة السحار وشركاه



(أشخاص المسرحية)

(بترتيب ظهورهم على المسرح)

نابليون	: بونابرت قائد الحملة .
بولين	: مدام فوريه .
زينب	:
بوريين	: سكرتير نابليون الخاص .
كليبر	: قائد الحملة بعد سفر نابليون .
كافاريللى	: من كبار الثوار .
دوجا	:
بوسيلج	: مدير الشئون المالية .
الشرقاوى	:
المهدى	: من شيوخ الأزهر .
الدواخلى	:
خليل	: خليل البكرى نقيب الأشراف .
دارجفيل	: مدير حديقة تيفولى وملهى تيفولى .
بوهارنيه	: ابن جوزيفين زوجة نابليون .

جاكلين } : امرأتان فرنسيتان .
فرانسواز } :

زوج جاكلين } : ضابطان فرنسيان .
زوج فرانسواز } :

فوريه : مسيو فوريه زوج بولين .

مينو : الجنرال مينو .

جرسون نوبى ـــ ثلاث بغايا ـــ حرس الملهى .

الفصل الأول

حجرة استقبال فى بيت بولين « مدام فوريه » الذى أعده لها نابليون فى بركة الرطل . باب على اليسار يؤدى إلى الخارج وباب على اليمين يؤدى إلى داخل البيت .

الوقت : (حوالى الساعة الثانية بعد الظهر) .

(يرفع الستار عن نابليون جالسا على كرسى ومن خلفه بولين واقفة تدعك ظهره وعنقه ورأسه وهو يتمطى ويتأوه ويقبلها بين الفينة والفينة) .

بولين : يكفيك ؟

نابليون : استمرى .

بولين : ألم تشبع ؟

نابليون : أنا لا أشبع أبدا .

بولين : من المعايب التى أخذتها عن هؤلاء الشرقيين .

نابليون : بل من فضائلهم يا بولين . أمة عريقة فى الحضارة توارثت هذا الطب الطبيعى الذى يمسح التعب ويزيل الوجع ويجلو الذهن ويعدل المزاج .

بولين : ويداى ؟ ألا تفكر فيما ينالهما من الكلل ؟

نابليون : الحب يا بولين لا يعرف الكلل .

بولين : ذاك قلبى يا مونشير .

نابليون : (**يلتفت إليها ويمسك يديها بين راحتيه ويطبع عليهما قبلة صغيرة**) هاتان موصلتان بالقلب .

بولين : أنت إذن تريدنى أن أكبّسك ليل نهار .

نابليون : أترين ذلك كثيرا علىّ يا بولين ؟

بولين : بل قليل فى حقك ولكن كثير علىّ .

نابليون : غدا يا حبيبتى يخف حملك .

بولين : غدا ؟

نابليون : حين تجدين من تعاونك .

بولين : من ؟ زينب ؟

نابليون : نعم .

بولين : كلا .. لا أريد عونا من أحد .

نابليون : ويداك ألا تفكرين فيما ينالهما من الكلل ؟

بولين : الحب يا حبيبى لا يعرف الكلل .

نابليون : ذاك قلبك يا بولين .

بولين : ويداى موصلتان بقلبى .

نابليون : جميل .. جميل .. خبرينى إنك لتجيدين التكبيس من أين تعلمته ؟

بولين : تلقيته عن عجوز خبيرة .

نابليون : أين ؟

بولين : فى الكحكيين .

نابليون : من دلك عليها ؟

بولين : السؤال .

نابليون : وماذا جعلك تسألين ؟

بولين : سؤالك كل يوم .

نابليون : تعنين ...

بولين : نابليون الصغير .

نابليون : **(يضمها بين ذراعيه فرحا ويوسعها لثما وتقبيلا)** كيلوباترا الصغيرة . لا أدرى كيف أحبك ؟ كم أنا مدين لك ؟ آه لو تعلم أمى المسكينة . كيف لم أعرفك من قبل ؟ أين كنت ؟

بولين : كنت دائما موجودة . ولكنك كنت سجينا فى تلك الجزيرة النائية .

نابليون : (**متطيرا**) سجين ؟ جزيرة نائية ؟

بولين : المارتنيك .

نابليون : تعنين جوزيفين .. أجل كانت سجنى وسجانتى . ولكنى تحررت اليوم . أنا اليوم فى القارة .. بعيدا عن الجزيرة .

بولين : إياك أن تعود إليها .

نابليون : هيهات . نابليون الصغير سيحول دون ذلك . خبرينى ماذا قالت لك العجوز الخبيرة ؟

بولين : أمرتنى أن أصبر وأستمر فى العلاج .

نابليون : هناك أمل ؟

بولين : كبير .

نابليون : حذار أن تكون دجّالة .

بولين : ألم يعجبك تكبيسى ؟

نابليون : فى منتهى الإتقان .

بولين : هى التى علمتنى .

نابليون : والدكتور لارى ألم تعودى إليه ؟

بولين : ماذا أصنع عنده ؟ سيقول لى نفس العبارة : يا صغيرتى ليس عندك ما يمنع .

نابليون : وهذه ماذا تصنع لك ؟

بولين : هذه تدلكنى وتبخرنى وترقينى بالأدعية وتعطينى عقاقير ومراهم و.....

نابليون : وماذا ؟

بولين : وتحاميل .

نابليون : (**يضحك**) تحاميل .

بولين : أتسخر ؟

نابليون : كلا .. لا أسخر مما لا أعلم . ما أكثر ما يطويه الكون من أسرار . وما أقل ما نعلم منها .

بولين : (**فرحة**) أحقا تؤمن بذلك ؟

نابليون : كيف لا ؟. أنا نفسى سر من تلك الأسرار .

بولين : (**فى اهتمام**) أجل .. لا يعرف أحد كيف يرضيك ؟

نابليون : إلا أنت يا بولين .

بولين : وزينب ؟

نابليون : هذه من حسناتك .

بولين : كلا لا شأن لى بها .

نابليون : أنت كنت الصلة .

بولين : ما حيلتى ؟ أردت أن أرضيك .

نابليون : فقد أرضيتنى .

بولين : على حسابى .

نابليون : بل لحسابك .

بولين : ستنازعنى فى حبك .

نابليون : بل ستعاونك على تحقيق ما أبتغيه .

بولين : وماذا تبتغى ؟ الولد ؟

نابليون : بل أكبر من الولد .

بولين : ليكن ما يكون . أنا كفيلة لك به .

نابليون : كلا .. لا تستطيعين .

بولين : ليس فى الدنيا ما لا أستطيعه من أجلك .

نابليون : إلا أن تكونى من بيت عريق فى الإسلام .

بولين : هيه .. أنت إذن لا تؤمن بمبادئ الثورة .

نابليون : ماذا تقولين ؟

بولين : عراقة الأصل ما زلت تجرى وراءها فى كل مكان . أرملة الكونت دى بوهارنيه فى فرنسا وابنة الشيخ البكرى فى

مصر .

نابليون : كلا ليس الأمر كما تظنين . وإلا لما التمست منك الولد .

بولين : تزوجنى إذن .

نابليون : بعد أن تنجبى لى .

بولين : كما تزوجت الكونتيسة .

نابليون : لا أريد أن أعيد مأساة الكونتيسة .

بولين : وزينب . ألست تريد أن تتزوجها ؟

نابليون : بعد أن تنجب لى هى أيضا .

بولين : مستحيل . هذه لن تستسلم لك إلا بالزواج ..

نابليون : ليس عندى يا بولين مستحيل .

بولين : اسمع . حذار أن تمسها بسوء . هذه فى عهدتى .

نابليون : كلا لن أكرهها على ما لا تريد .

بولين : ستحتال عليها كما فعلت معى .

نابليون : هل أكرهتك ؟

بولين : دلقت الشراب فى حجرى ليبتل ثوبى ، ثم قدتنى إلى مخدعك لأغير الثوب فيه .

نابليون : خبرينى يا بولين واصدقينى .. هل حزرت ساعتئذ ما كنت أقصد إليه ؟

بولين : نعم .

نابليون : يا شقية .

بولين : لكنى سأحذر زينب من حيلك .

نابليون : افعلى فلن تظنك غيرى عليها .. بل غيرى منها .
(**ينظر فى ساعته**) هذا موعد درسها .. كيف لم تجىء بعد ؟

بولين : لعلها نسيت أو منعها عذر .

نابليون : اذهبى إليها الآن فأحضريها .

بولين : أحضرها ؟ أهى دمية ؟

نابليون : ادعيها .. ذكريها موعد الدرس .. هيا اذهبى قبل أن يحين موعد المشايخ .

بولين : المشايخ .؟ يأتون هنا عندى ؟

نابليون : نعم . اذهبى إليها . أسرعى .

بولين : انتظر قليلا .

نابليون : لن أنتظر .

بولين : لعلها فى الطريق .

نابليون : أحضريها من الطريق .

بولين : (**تتهيأ للخروج**) ها هى ذى جاءت . الحمد لله .

نابليون : (**يستقبلها على الباب**) مرحبا بك يا مداموازيل .

زينب : (**تدخل**) شكرا يا سيدى الجنرال .

(**تصافحه ثم تصافح بولين**) .

نابليون : أنا الذى سأعطيك الدرس اليوم أيضا .

زينب : لكن ...

نابليون : ألم يعجبك درسى أمس ؟

زينب : بلى ولكن ..

نابليون : أنا أفصح منها وأقدر على تعليمك .

زينب : ربما ولكن ..

نابليون : قد اتفقت مع مدام فوريه على ذلك .

بولين : (**على حدة**) مدام فوريه .

زينب : ومشاغلك يا سيدى الجنرال .

نابليون : أنت اليوم شغلى يا زينب . ليس لى شغل سواك . اجلسى .

زينب : (**تجلس وتفتح الكتاب**) الدرس العشرون ..

نابليون : (**يجلس إلى جانبها**) أطبقى الكتاب . سأعطيك محادثة (**يلتفت إلى بولين**) مدام فوريه لا ينبغى أن يكون فى الفصل الواحد مدرسان .

بولين : (**ساخرة**) ولا سيما إذا لم يكن فى الفصل غير تلميذة واحدة . (**تنسحب ثم تعود**) .

نابليون : ما خطبك ؟

بولين : أوصيك بها خيرا . إنها تلميذتى .. فى عهدتى .

نابليون : اطمئنى . درس واحد منى بمائة درس منك .

بولين : مدموازيل .. انتبهى جيدا . (**تخرج**) .

نابليون : الغيرة . فى كل مكان . مدام فوريه تغار منك يا زينب . والفرنسيون الذين معى يغارون من حبى للإسلام . ومشايخ الأزهر يغارون من حبى لوالدك .

زينب : وأنت يا سيدى الجنرال . ألا تغار من أحد على أحد ؟

نابليون : (**يتغير وجهه قليلا**) أين ؟

زينب : (**تفطن لما به**) هنا فى مصر .

نابليون : (**يسرى عنه**) هنا فى مصر لا أغار إلا من والدك .

زينب : على من ؟

نابليون : عليك أنت .

زينب : لماذا ؟

نابليون : لأنه يراك أكثر مما أراك .

زينب : أنت تغار منه وهو يهدى إليك السلام .

نابليون : فى وسعه أن يهدى لى ما هو أفضل وأنفس .

زينب : هو يحبك ولا يضن بشىء عليك .

نابليون : ولا بك أنت ؟

زينب : أنا لست جارية .

نابليون : أنا لا أريد جارية .

زينب : تريد ماذا ؟

نابليون : ملكة .

زينب : ملكة ؟

نابليون : سلطانة .

زينب : مثل شجر الدر ؟

نابليون : بل أعظم .

زينب : مثل زبيدة امرأة هارون الرشيد ؟

نابليون : بل أعظم .

زينب : هارون الرشيد كان يقول للسحابة فى السماء .. أمطرى حيث شئت فسيأتينى خراجك .

نابليون : وأنا سأقول للشمس : أشرقى أنى شئت فلم تشرقى إلا على رعاياى .

زينب : مثل الإسكندر الأكبر ؟

نابليون : بل أعظم من الإسكندر الأكبر .

زينب : وترى ذلك ممكنا اليوم ؟

نابليون : إذا ساعدتنى أنت على ذلك .

زينب : وأى شيء أستطيع أن أقدمه لك ؟

نابليون : قلبك .

زينب : قلبى صغير لا يسع كل أحلامك ؟

نابليون : إذا أحبنى قلبك اتسع لى ولأحلامى .

زينب : كلامك يا سيدى حلو . ولكن ..

نابليون : ولكن ماذا ؟

زينب : أخشى أن يكون مما تقوله دائما للنساء .

نابليون : كلا هذا كلام لا يقال إلا لك وحدك .

زينب : (**بصوت خافض**) ومدام فوريه ؟

نابليون : (**بصوت خافض**) هذه طريقى إليك .

زينب : وأنا سأكون طريقك إلى من ؟

نابليون : إلى المجد .. إلى بناء إمبراطورية عربية عظيمة تكون قاعدتها فى مصر . وتمتد حدودها من إسطنبول إلى الهند ومن

مراكش إلى السودان .

زينب : أوتظن مثل هذه الدولة يمكن أن يحكمها رجل غير مسلم ؟

نابليون : أنا مسلم يا زينب .

زينب : يجب أن تشهر إسلامك .

نابليون : قد أعلنته فى منشوراتى .

زينب : فى تلك المنشورات أعلنت أنكم جميعا مسلمون .

نابليون : أجل نحن جميعا نحترم الإسلام ونبى الإسلام .

زينب : أنت تعلم يا سيدى أن ذلك لا يكفى ، فقد اعتبره الناس من باب الدعاية والخداع .

نابليون : لكنى أنا مؤمن حقا بهذا الدين ، فقد درسته ودرست تاريخه فاطمأنت نفسى إليه ، وأرجو أن يقتنع به رجالى يوما من الأيام فنشهر إسلامنا جميعا .

زينب : سيكون ذلك اليوم يا سيدى أسعد يوم فى حياتى .

نابليون : لكنى لا أستطيع أن أنتظر .

زينب : ماذا تعنى ؟

نابليون : لا بد أن أتزوجك قبل ذلك .

زينب : متى ؟

نابليون : الآن .

زينب : الآن ؟

نابليون : (**يمسك بيدها**) أجل .. هلمى معى .

زينب : (**تجذب يدها منه بلطف**) إلى أين ؟

نابليون : سأريك صورة أمى .

زينب : صحيح ؟ عندك ؟ أرنيها .

نابليون : معلقة فى حجرتى .

زينب : تلك الصورة المعلقة فى الحجرة ؟ قد رأيتها .

نابليون : متى ؟

زينب : ذات يوم . جميلة . فيها شبه منك .

نابليون : ألا تحبين أن تريها مرة أخرى ؟

زينب : إذا أحضرتها أكون شاكرة .

نابليون : (**حسنا**) .. سأحضرها لك (**يخرج**) .

(تدخل بولين متسللة)

بولين : (**هامسة**) أحسنت يا زينب . حذار .. إنه ثعلب . لا بد أن يفكر الآن فى حيلة أخرى . حذار . (**تنسل خارجة**) ..

(يعود نابليون ومعه قدح شراب)

زينب : أين الصورة ؟

نابليون : أليس قد رأيتها ؟

زينب : أحب أن أراها مرة أخرى .

نابليون : دعيها معلقة فى جدارها . هذا الشراب لذيذ جدا . أحضرته لك .

زينب : فيم الكلفة يا سيدى ؟

نابليون : أنت ضيفة عزيزة عندى .

زينب : لكن ..

نابليون : لا تخافى . هذا ليس بخمر . هذا شراب التوت .

زينب : أنا اليوم يا سيدى صائمة .

نابليون : صائمة ؟

زينب : نعم .

نابليون : لا تخدعينى .. نحن لسنا فى شهر رمضان . لا يزال بيننا وبينه شهران .

زينب : أنا وأمى نصوم الخميس والإثنين من كل أسبوع . سنة يا سيدى .

نابليون : سنّة ؟

زينب : ليس بفرض .

نابليون : اشربى إذن ما دام ليس بفرض .

زينب : أرجوك يا سيدى . لا تقطع علىّ صومى .

نابليون : (**يسقط القدح فى حجرها**) وى . على الشيطان اللعنة . كيف سقط من يدى .

زينب : (**تنهض وهى تنفض البلل من ثوبها**) لا بأس يا سيدى . راح الشر .

نابليون : ادخلى إذن لتغيرى ثوبك .

زينب : سأغير ثوبى فى البيت .

نابليون : كلا لا يصح أن تخرجى بهذا البلل فى ثوبك . ماذا يقول الناس عنك ؟

زينب : لن يراه أحد . سألبس ملاءتى فوقه . (**تنادى**) بولين . بولين .

بولين : (**تدخل**) انتهى الدرس ؟

نابليون : لا لم ينته بعد .

زينب : بلى . أعطينى ملاءتى .

نابليون : يا هذه أين أخفيت ملاءتها ؟

بولين : (**تنظر إليه شزرا**) احتفظت بها عندى .

(تناول الملاءة لزينب فترتديها زينب)

نابليون : متى تعودين يا زينب ؟ غدا .

بولين : غدا الجمعة . إجازة .

نابليون : إجازة عندك أنت . لا عندى .

زينب : إجازة عندى أنا يا سيدى .

نابليون : يوم السبت إذن .

زينب : إن شاء الله . (**تخرج**) .

نابليون : أنت حذرتيها منى .

بولين : أبدا .

نابليون : واضح .

بولين : واجب . فى عهدتى .

نابليون . : فى عهدتك أم تغارين منها ؟

بولين : لا تحاول أن تتنصل من ذنبك . ما هذا الذى كنت تقوله لها ؟

نابليون : أكنت تتسمعين ؟

بولين : كنت أستمع إلى الدرس . أليس لى أن أستفيد ؟

نابليون : لا تغضبى إذن إن سمعت ما تكرهين .

بولين : تريد إذن أن تجعلها ملكة ؟

نابليون : وأى بأس فى ذلك .

بولين : أنا أولى . ألست قد وعدتنى ؟

نابليون : بلى وأنا عند وعدى .

نابليون : كيف ؟

بولين : سيكون لى عرشان يا بولين لا عرش واحد .

بولين : عرشان ؟

نابليون : عرش فى الغرب . وعرش فى الشرق .

بولين : (**غير مصدقة**) عرش فى الغرب . وعرش فى الشرق !

نابليون : عرش فى باريس يخضع له الغرب كله . وعرش فى القاهرة يخضع له الشرق كله .

بولين : مستحيل .

نابليون : ليس عندى مستحيل .

بولين : بل تكذب على كل واحد لترضى كل واحد .

نابليون : سوف ترين .

بولين : وعلى أى تريد أن تجلسنى ؟

نابليون : على عرش الغرب .

بولين : وتجلسها هى على عرش الشرق ؟

نابليون : نعم . صدقت الآن ؟

بولين : المصيبة أننى لا أستطيع أن أصدقك ولا أستطيع أن أكذبك .

نابليون : انتظرى إذن ولا تتسرعى فى الحكم .

بولين : لكن هذا شىء عظيم . أتريد أن تملك العالم كله ؟

نابليون : يا صغيرتى متى استطعت أن أملك نصف العالم استطعت أن أملك العالم كله .

بولين : هذا فوق التصور .

نابليون : فوق تصورك أنت . ودون تصورى .

بولين : دون تصورك ؟ هل بعد ملك العالم كله من مطمع لك ؟

نابليون : نعم .. إذا كان فى الإمكان .

(يطرق الباب ثلاث طرقات)

بولين : هذا سكرتيرك الخاص .

نابليون : ادخل يا مسيو بوريين .

(يدخل بوريين فى أدب)

بوريين : معذرة يا مودموازيل بليزل .. معذرة يا سيدى الجنرال .. الجنرال كليبر بالباب ...

نابليون : اللعنة ! ما جاء به الساعة ؟

بوريين : ومعه الجنرال كافاريللى والجنرال دوجا والمسيو بوسيلج .

نابليون : عجبا .. ماذا جاء بهم ؟ قل لهم يدخلوا .

(يخرج بوريين ثم يعود ومعه الأربعة فيرحب نابليون

وبولين بهم) .

كافاريللى : معذرة يا جنرال بونابرت . موعدنا معك الساعة السادسة مساء للنقاش فى موضوع الحملة على سوريا .

نابليون : نعم فماذا جاء بكم الساعة ؟

كليبر : لم نستطع أن نصبر حتى الليل .

نابليون : لماذا ؟

كليبر : هذه الإشاعة التى انتشرت فى كل مكان بأننا سنعتنق الإسلام .

نابليون : هذا من تدبيرنا كما تعلمون . لنتألف قلوبهم ولا سيما بعد هذه الثورة الجائحة .

كليبر : لقد صرنا عندهم مثار السخرية والتندر .

نابليون : كيف ؟

كليبر : قالوا إنهم سوف يختنوننا واحدا واحدا عند باب الجامع الأزهر بالقدوم .

نابليون : (**ينفجر مقهقها**) واحدا واحدا .. عند باب الجامع الأزهر .. بالقدوم . (**يضحك الآخرون ما عدا كليبر ولكنهم يحاولون مغالبة الضحك مراعاة لكليبر**) .

كليبر : أتضحك يا مواطنى الجنرال ؟

نابليون : هذه تضحك حتى الحجر . انظر إلى رفاقك إنهم يضحكون .

كليبر : رأوك تضحك فضحكوا معك .

نابليون : خبرونى يا سادة لو سمعتم هذه النكتة وحدكم أما كنتم تضحكون .؟

كليبر : هذه ليست نكتة . هذه سخرية مهينة لجيش الشرق ولشرف فرنسا وكرامة الجمهورية .

نابليون : اطمئن يا جنرال كليبر . على شرف فرنسا وكرامة الجمهورية فلن يختنوا أحدا من جيش الشرق . لا بقدوم ولا بغيره .

(يضحكون ما عدا كليبر)

نابليون : انظر . هم الذين ضحكوا .. أنا لم أضحك .

كليبر : يا سادة نحن لسنا فى فرنسا . نحن فى مستعمرة فعلينا أن نحافظ على وقارنا وألّا ننساق مع الهزل إلى أكثر مما ينبغى ، وإلا ضاعت هيبتنا فضعنا معها نحن .

كافاريللى : يا جنرال كليبر . أنت محق فيما تقول ، ولكن هذا الهزل الذى دار بيننا اليوم ليس أكثر مما ينبغى فلا بأس علينا منه .

كليبر : وقالوا أيضا إنهم سيجلدوننا إذا وجدونا نشرب الخمر .

بوسيلج : هذا أشد وأنكى من الختان .

دوجا : بل الختان أنكى وأشد .

نابليون : البرهان .

دوجا : السوط أرحم من القدوم .

بوسيلج : الختان مرة واحدة فى العمر ، أما الجلد بالسوط فكل يوم .

نابليون : ما رأيك يا جنرال كافاريللى ؟

كافاريللى : أنا مع الخبير بالاقتصاد . مع المسيو بوسيلج .

نابليون : صدقت .. الاقتصاد دائما هو الفيصل .

كليبر : دعونا يا سادة من هذا الجدل الفارغ . كلا الأمرين شر من الآخر . اهتموا بالمهم .

نابليون : وما المهم يا جنرال كليبر ؟

كليبر : إنك أنت المسئول عما حدث ، فما كان ينبغى أن تستفتى علماء الأزهر فى جواز إسلامنا بختان أو بغير ختان وبخمر أو بغير خمر .

نابليون : أنا ما استفتيتهم فى ذلك إلا لأثبت لهم أن دخولنا فى الإسلام ليس سهلا كما يظنون .

كافاريللى : أردت أن تتخلص من إلحاحهم عليك ؟

نابليون : أجل ، كنت أريد أن أثبت جذور الثورة ، فأمرت العلماء أن يصدروا فتوى لتبايعنى الناس وتقسم لى يمين الطاعة . فقالوا لا سبيل إلى ذلك إلا إذا أسلمنا ، فاعتذرت لهم بهذين المانعين الختان والخمر فقالوا سنجمع ستين عالما ليفتوك فى ذلك .

كليبر : ولم تعترض عليهم .؟

نابليون : ولماذا أعترض ؟ إن ذلك فى صالحنا .

كليبر : فى صالحنا ؟

نابليون : يا جنرال كليبر أنا أعرف بسياسة هؤلاء المسلمين منك .

كليبر : ما جرأهم علينا إلا مغالاتك فى التودد إليهم والإشادة

بدينهم .

نابليون : أما التودد إليهم فهو الذى مكننا من البقاء عندهم حتى اليوم . وأما الإشادة بدينهم فلعمرى إنه لدين يعشقه كل ذى فطرة سليمة وعقل حر ونفس عالية .

كليبر : اعترفت الآن أنك لا تمدح دينهم تألفا لقلوبهم بل إيمانا به .

نابليون : نعم .. كيف لا أؤمن بدين فتح نصف العالم فى عشر سنوات ؟

كليبر : ويجلد من يشرب الخمر ؟

نابليون : لو تعلم يا صديقى ما وراء هذا التشريع من حكمة بالغة .

كليبر : أى حكمة ؟

نابليون : لو استطعنا أن نمتنع عن الخمر ولا نشرب إلا اللبن والماء القراح لكنا أقوى أمة فى الأرض ولفتحنا الدنيا كلها . هذا سر فتوحات المسلمين الأولين .

كليبر : ما أجدرك أن تكون شيخا من شيوخ الأزهر .

نابليون : وددت والله لو اتسع وقتى للتعمق فى دراسة هذا الدين وتاريخه وسيرة نبيه وأصحابه ، إذن لاستمددت من روحه وقوته ما لا يخطر لهؤلاء الشيوخ على بال .

كليبر : اسمعوا يا سادة . الجنرال بونابرت يتفوق على شيوخ الأزهر .

نابليون : بالتأكيد يا سادة . إنهم فقدوا روح الإسلام فجمدوا على هيكله منذ قرون . وجاء العصر الحديث وما زالوا فى

نومهم يغطون .

كليبر : إنه لا يريد أن يسلم فحسب بل يريد أن يحيى الإسلام .

نابليون : كلا يا جنرال كليبر . الإسلام حيّ فى أفقه الأعلى . ولكنى أريد أن أحيى نفسى وأحييكم أنتم إذا ما أسلمت وأسلمتم معى .

كليبر : أسمعتم ؟ كيف يدعونا إلى الإسلام دعوة سافرة ؟

دوجا : كلا يا سيدى الجنرال نحن لن نسلم أبدا .

بوسيلج : وليس لك أن تدعونا إلى ذلك .

نابليون : ما أعجب هذا القرآن الذى جاء به محمد . إنى لأحفظ آية من السورة الثامنة كأنما قيلت فيما نحن فيه الآن .

دوجا : وتحفظ القرآن أيضا ؟

بوسيلج : لتقرأه علينا ؟

كليبر : كلا .. هذا كثير .

كافاريللى : دعونا نسمع الآية منه . مم تخافون ؟ أنتم أبناء التوراة وتلاميذ ميرابو وفولتير .

نابليون : يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه .

كافاريللى : لعله يعنى الحياة الأخرى كما فى الأناجيل .

دوجا : أجل . لا شك فى ذلك .

نابليون : كلا بل يعنى هذه الحياة الدنيا . حياة العظمة والمجد ، حياة الحق والشرف والعدل .

بوسيلج : وكيف عرفت ؟

نابليون : من سياق الآية فى السورة . السيرة كلها فى آداب الجهاد والقتال . فهل يقاتلون فى الآخرة ؟

كليبر : يكفى يا سادة .. لا يقرأ علينا السورة كلها .

كافاريللى : فهمنا المقطع الأول من الآية فما معنى المقطع الثانى عن الإنسان وقلبه ؟

كليبر : كفاية يا جنرال كافاريللى . دعونا الآن نناقش موضوع الحملة على سوريا .

كافاريللى : فيما بعد يا جنرال كليبر .

كليبر : الحملة أهم من هذا كله .

كافاريللى : أرجوك يا جنرال كليبر . (**لنابليون**) المقطع الثانى إذا تكرمت .

نابليون : واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه . هذه فى المعجزة يا جنرال كافاريللى . ها أنذا مثلا أرى قلبى يؤمن إيمان اليقين بأن الإسلام هو الدين الحق . ثم يحال بينى وبين قلبى فلا أستطيع أن أسلم .

كليبر : وماذا يمنعك ؟

نابليون : قيود كثيرة مادية ومعنوية حقيقية ووهمية منها أنتم .

كليبر : وما شأنك بنا ؟ إن شئت أن تسلم فأسلم وحدك .

نابليون : هذا هو القيد الأكبر . لو أسلمت دونكم فلن أحقق لكم ولا لفرنسا شيئا ذا بال ، ولكن لو أسلمتم معى فلن يقف فى

طريقنا إلى المجد الأكبر شيء .

كافاريللى : يا صديقى الجنرال أنت فى الحرب ذو موهبة عملية لا تجارى ولكنك فى غير الحرب لست سوى حالم .

دوجا : أجل ما أعجب أن يجتمع النقيضان فى قائدنا العام .

بوسيلج : ولكن من حسن حظنا أن مصلحة فرنسا هى عنده فوق كل شيء .

كليبر : إلى موضوع الحملة على سوريا يا قوم .

نابليون : (**ينظر إلى ساعته**) لا مانع .

كليبر : أنا لا أرى من الحكمة أن نقوم بها فى الوقت الراهن .

نابليون : الآن بعد ما احتل أحمد باشا الجزار العريش ؟ ما بقى إلا أن تزحف جحافلهم علينا .

كليبر : لتزحف جحافلهم فسنسحقها سحقا .

نابليون : إن من أخطر الخطر أن تصل جحافلهم الآن والبلاد تغلى بالسخط علينا عقب الثورة . لقد أطمعتهم هذه الثورة فلنسبقهم إلى عقر دارهم لنكذب أطماعهم هنا .

كليبر : لكن المصريين سيثورون مرة أخرى إذا تركناهم .

نابليون : بالعكس سيشعرهم ذلك بأننا أقوياء وإلا لما خرجنا من عندهم لنغزو بلدا آخر . ثم إنهم لن يثوروا إلا بعد أن تندمل جراحهم من الثورة الأولى . فلنعجل بحملتنا على الشام قبل ذلك .

دوجا : ألا ترى أن الجو غير مناسب فالبرد شديد هنا فلو أجلناها

حتى الربيع ؟

نابليون : كلا . أخشى ما نخشاه هو القيظ القاتل فى تلك الطرق الصحراوية . فإذا تحركنا الآن ونحن فى آخر الشتاء فسيكون أمامنا خمسة أشهر قبل اشتداد الصيف نستطيع فى خلالها أن نكتسح الشام حتى نبلغ طوروس فإما أن نتجه إلى الشرق فننطلق إلى الهند لنقضى فيها على قوة الإنجليز ، وإما أن نواصل السير إلى الشمال حتى نستولى على استانبول .

بوسيلج : تلك إذن غزوة كبيرة لا يكفى فيها ثلاثة عشر ألف جندى .

نابليون : لن نقتصر عليهم . سنثير الدروز والمسيحيين فى الشام ونسلحهم ونضم إلينا منهم ومن المماليك ما يزيد على عشرين ألف مقاتل .

كليبر : كيف تعتمد على نصارى الشام بعدما بلغهم تهجمك على كرسى البابوية فى منشوراتك الإسلامية التى أذعتها فى مصر ؟

نابليون : من اليسير أن نقنعهم بأننا كنا نتألف المصريين بذلك ونخدعهم .

كليبر : يا إلٰهى . منذ لحظة فقط كنت تمدح الإسلام والمسلمين .

نابليون : يا صديقى لكل مقام مقال .

دوجا : ولكنى أعتقد بعد يا سيدى الجنرال أن مغامرة كبيرة كهذه

لا ينبغى أن تعتمد فيها على الفرنسيين وحدهم .

نابليون : إن اتضح لنا بعد اكتساح الشام أن من الضرر أن نواصل غزونا اكتفينا بذلك.. ورجعنا إلى مصر وقد أدبنا الأتراك ومنعنا وصولهم إلينا عن طريق البر .

كافاريللى : ألم أقل لكم يا سادة إن قائدنا بونابرت لا بد قد قلب كل وجه فى الموضوع وفكر فى كل احتمال ؟ فماذا ترون الآن ؟ هل من سؤال بعد ؟

الجميع : لا .. اقتنعنا الآن .

كليبر : اعذرنى يا سيدى الجنرال إذا تشددت فى أسئلتى فإنك أسندت قيادة الحملة إلىّ فعلىّ أن أكون منها على بصيرة فى كل شيء .

نابليون : اعذرنى أنت أيضا فقد استقر رأيى على أن أتولى قيادة الحملة بنفسى .

كليبر : وتتركنى أنا فى مصر ؟

نابليون : كلا ستكون معى لا أستغنى عنك بحال . (**ينظر فى ساعته فينهض**) أيها السادة لقد آن لى أن أتوجه إلى المشايخ فى الأزهر لأحضرهم معى فى العربة .

الجميع : (**ينهضون**) نستأذن إذن .

نابليون : كلا بل تبقون هنا لتسمعوا الفتوى منهم .

كليبر : فتوى الختان والخمر .؟

نابليون : نعم .. لا تخف يا جنرال كليبر فلن يختنوك ولن يجلدوك .

(يضحكون) (يقهقه كليبر معهم قليلا ثم يتوقف فجأة كأنه تذكر وقاره).

نابليون : (**ينادى**) بولين . بولين .

بولين : (**صوتها**) نعم .

نابليون : ألا تقدمين شيئا لضيوفك ؟

بولين : حاضر . (**يخرج نابليون**) .

كليبر : أرأيتم يا سادة كيف صرنا نعقد اجتماعاتنا فى بيت هذه العشيقة ؟

كافاريللى : ألطف . ليشعرنا بالدفء .

كليبر : خير لنا أن يشعرنا بالكرامة .

كافاريللى : كرامتنا محفوظة .

كليبر : محفوظة ؟ متى ؟ يوم أرسل زوجها إلى فرنسا فى مهمة وهمية أم يوم رجع زوجها ليجدها فى أحضان قائده ؟

دوجا : إن قائدنا مغرم بقراءة التاريخ أتدرون من أين أخذ هذه القدوة ؟

كليبر : من أين ؟

دوجا : من قصة داود فى العهد القديم إذ أرسل أوريا الحثى إلى الميدان ليُقتل فيتزوج هو امرأته .

كليبر : هذا انتظر حتى قُتل الرجل فى الميدان ، أما هذا فلم ينتظر وصول زوجها إلى باريس .

دوجا : لقد ظن أنه لن يعود فإن الذى يذهب إلى فرنسا الآن

لا يمكن أن يعود .

كافاريللى : يا سادة اللوم ليس على بونابرت .

كليبر : على من إذن ؟

كافاريللى : على الملاعين الإنجليز إذ منعوا زوجها من الوصول إلى فرنسا وأعادوه من نصف الطريق .

(يضحكون ما عدا كليبر)

دوجا : أصبحت يا جنرال كافاريللى مثل بونابرت يلقى اللوم دائما على الإنجليز فى كل شىء .

كافاريللى : لولاهم لوصل الزوج إلى فرنسا ولبقى فيها إلى .. إلى يوم يبعثون . **(يضحكون ما عدا كليبر)** .

دوجا : كلا ليس اللوم على الإنجليز .

بوسيلج : على من إذن ؟

دوجا : عليها هى ذاتها إذ استجابت له .

كليبر : هذا تعرض لها وخدعها .

دوجا : ما يدريك هو الذى تعرض لها أم هى التى تعرضت له لتخدعه ؟

بوسيلج : يا قوم اعذروه فقد كان يعانى ما يعانى من جوزيفين فى باريس .

كافاريللى : ولا تلوموها هى أيضا فإن لها فضلا علينا .

كليبر : أى فضل ؟

كافاريللى : كان قائدنا عبوسا فصيرته بشوشا .

بوسيلج : صه . ها هى ذى قد أقبلت .

(**تدخل بولين تحمل أقداح شراب**) .

بولين : مرحبا بكم يا سادة . لم أشا أن أشغلكم عما كنتم فيه . تفضلوا . هذا شراب التوت الذى يحبه القائد العام .

كليبر : شكرا يا مدام فوريه .

بولين : مدموازيل بليزل من فضلك .

كليبر : مدموازيل بليزل .

دوجا : لم لا ندعوك (نرتردام دى لوريان) يا مدامَ ؟

بولين : كلا يا جنرال .. لا ينبغى أن تنزلوا إلى مستوى عامة الجنود .

دوجا : آسف يا مدموازيل بليزل .

كافاريللى : لو سمحت لى مدموازيل بليزل دعوتُها لأرى جوديفا .

بولين : تلك سيدة إنجليزية هلكت فى الدهر القديم على ما أظن .

كافاريللى : نعم أنت أحييت أسطورتها بشعرك هذا الطويل الجميل .

بولين : أشكرك يا جنرال كافاريللى على مجاملتك اللطيفة ولكنى أفضل أن أبقى مدموازيل بليزل (**تجمع الأقداح منهم**) سأترككم وحدكم لتتحدثوا على حريتكم .

الجميع : بل اجلسى معنا يا مدموازيل بليزل .

بولين : شكرا . (**تخرج**) .

كليبر : انظروا إلى هذه المدام التى تحولت إلى مدموازيل .

بوسيلج : لكى يتزوجها بونابرت بعد أن يطلق جوزيفين .

دوجا : وهل يستطيع أن يطلق جوزيفين ؟

بوسيلج : ربما إذا جاءت له بولد .

دوجا : من ؟ جوزيفين أم مدام فوريه ؟

بوسيلج : مدام فوريه .

كليبر : من فيكم يعلم لماذا أعفى بونابرت ملازمه يوجين بوهارنيه من وظيفته ؟

كافاريللى : لأن الشاب بوهارنيه كان يجد حرجا أن يسير فى ركاب غريمته .

كليبر : أنا سمعت تفسيرا آخر .

الجميع : ما هو ؟

كليبر : أن الشاب بدأ يغازلها فبلغ ذلك بونابرت .

كافاريللى : لا تصدقوا هذه الإشاعات يا قوم .

(تسمع أصوات من بعيد كأنها لموكب قادم)

كليبر : ما هذه الضجة ؟

دوجا : (**يطل من الشباك**) هذا موكب الجنرال بونابرت والجموع حول عربته .

كافاريللى : جاء معه بالمشايخ .

الأصوات : (**تتضح**) رددوا التحية . واحلفوا اليمين . الفرنسوية .. صاروا مسلمين .

(يدخل نابليون ومعه المشايخ عبد الله الشرقاوى ومحمد المهدى ومحمد الدواخلى) .

نابليون : (**يوسع لهم المجلس فيجلسون**) تفضلوا . ها نحن أولاء مجتمعون لسماع فتواكم .

الشرقاوى : ونحن نعلنها لكم بعد ما اتفق عليها ستون عالما منا بأن إسلامكم مقبول بغير أن تكرهوا على الختان وبغير أن تتعهدوا من الآن بالامتناع عن شرب الخمر ، فإن إسلامكم إذا حسن كفيل فى المستقبل بأن يجنبكم الخمر وسائر المنكرات الأخرى ، وبالله التوفيق وهو الهادى إلى سواء السبيل .

كليبر : أسمعتم يا سادة ؟ ماذا نصنع الآن ؟

نابليون : (**يومئ لكليبر أن اسكت**) نشكركم يا شيوخ الأزهر على رحابة صدوركم وعلى ما بذلتم من جهد لتذليل العقبات التى تعترض اعتناقنا للدين الحنيف ، وقد كان فى نيتى أن أشهر إسلامى وإسلام الذين معى جميعا اليوم لولا أنى رأيت محمدا البارحة فى المنام .

المشائخ : ﷺ .

نابليون : وقال لى : يا بونابرت ادخل الإسلام ، وستفتح آسيا كلها وتغزو الإسلام والمسلمين .

الشرقاوى : الحمد لله . هذه رؤيا عظيمة .

المهدى : رؤيا صادقة كفلق الصبح .

الدواخلى : أجل قال رسول الله ﷺ : من رآنى فقد رآنى حقا فإن الشيطان لا يتمثل بى .

نابليون : ألا تسألونني ماذا طلبت منه ؟

المشائخ : ماذا طلبت منه عليه السلام ؟

نابليون : طلبت منه أن يمهلني سنة لأهيئ جيشي وأعده للدخول في الإسلام .

(يسكت المشائخ وينظر بعضهم إلى بعض)

كافاريللي : ووافق على طلبك ؟

نابليون : نعم وباركني ودعا لي . ففي وسعكم يا شيوخ الأزهر أن تعتبرونا مسلمين من الآن . وبلغوا ذلك لأعضاء الديوانين العمومي والخصوصي .

الشرقاوي : نسأل الله أن يوفقكم إلى الخير . ولكن المبايعة لا يمكن أن تتم إلا بعد ....

نابليون : لا بأس . تؤجل المبايعة إلى العام القادم . ولكن عليكم أن تذكروا الناس أنني أعدت لهم الديوان وجعلت نظامه خيرا من الأول ، وسامحت كل من اشترك في الثورة وعفوت عما سلف ، فعليهم أن يخلصوا لنا في المستقبل ولا سيما ونحن اليوم في حكم المسلمين فقد أذن النبي بتأجيل إسلامنا إلى العام القادم .

الشرقاوي : على العين والرأس يا ساري عسكر .

نابليون : وبشروا الجميع أنني بعد عودتي من حملة الشام سأبني لهم جامعا كبيرا في القاهرة لا نظير له في البلاد الإسلامية كلها .

الشرقاوى : هذه بشرى عظيمة .

الدواخلى : نسأل الله لكم التوفيق .

(ينهض المشائخ للانصراف)

نابليون : **(يشيعهم إلى الباب)** بورين . دعهم يوصلوا المشائخ فى العربة .

(يخرج المشائخ)

الجماهير : **(أصواتها من الخارج)** : رددوا التحية .. واحلفوا اليمن الفرنسوية .. صاروا مسلمين

كافاريللى : لقد أحسنت التخلص يا سيدى الجنرال .

كليبر : وبعد السنة ؟

نابليون : الجنرال كليبر ماذا يخشى من الختان ؟

كليبر : ليس من الختان بل من الإسلام .

كافاريللى : اطمئن . حينئذ سيقص عليهم بونابرت رؤيا جديدة .

(يتضاحكون ويضحك معهم نابليون وهو يشيعهم إلى الباب) .

(يعود نابليون وتدخل بولين مرتدية ملابس الخروج)

بولين : فرغت الآن من مشاغلك فهلم نتجول قليلا على العربة .

نابليون : أنا ما فرغت بعد يا بولين .

بولين : .ماذا عندك بعد ؟

نابليون : فى انتظار الشيخ المهدى .

بولين : الشيخ المهدى .. ألم يكن هنا مع المشائخ .؟

نابليون : سيعود فى مسألة أخرى ومعه الشيخ خليل البكرى .

بولين : الشيخ خليل البكرى ؟

نابليون : والد تلميذتك زينب .

بولين : ما عادت تلميذتى . صارت غريمة .

نابليون : حدثينى يا بولين لماذا أشعر نحوها برهبة ؟

بولين : برهبة ؟

نابليون : كأننى أمام قديسة .

بولين : قديسة ؟

نابليون : أو أمام راهبة .

بولين : راهبة ؟

نابليون : نعم .

بولين : ومع ذلك فقد حاولت أن تفترسها اليوم .

نابليون : كلا يا بولين ما حاولت .

بولين : على مرأى منى ومسمع .

نابليون : لم تكن محاولة صادقة . كانت إرادتى شبه مشلولة . كنت كأننى أرى بولين شقيقتى .

بولين : بولين شقيقتك ؟

نابليون : نعم .. فيها مشابه منها .

بولين : أختك فيها مشابه من زينب ؟

نابليون : نعم ..

بولين : ماذا يجمع بين كورسيكية وعربية ؟

نابليون : تذكرى يا بولين أن هؤلاء العرب كانوا فيما مضى يحكمون

صقلية .

بولين : هيه .. أتريد أن تقول إن دما عربيا ربما يجرى فى عروقك ؟

نابليون : من يدرى ؟

بولين : كل هذا من أجل زينب ؟

نابليون : بل من أجل فرنسا يا بولين . أريد أن أبنى لها إمبراطورية عظيمة فى الشرق .

بولين : أوه . لقد بلبلت فكرى . إن كنت لا تريد الخروج معى فسأخرج مع يوجين بوهارنيه .

نابليون : ابن غريمتك ؟

بولين : ليست غريمتى . أنا غريمتها .

نابليون : خذى حذرك لا ينتقم لأمه منك .

بولين : لا تخف . أعرف كيف أروضه . **(تخرج)** .

(يدخل بوريين)

بوريين : الشيخ المهدى والسيد خليل البكرى .

(يخرج نابليون لاستقبالهما ثم يعود بهما معه)

نابليون : يا سيد خليل أنت تعرف حبى لك .

خليل : وأنا أيضا أحبك يا سارى عسكر .

نابليون : كلمك الشيخ المهدى ؟

خليل : نعم ، ولكن هذه مخطوبة لابن عمها محيى الدين .

المهدى : ابن عمها هذا لا يقدر أن يجعلها سلطانة .

نابليون : برافو شيخ مهدى .

خليل : ثم إنها صغيرة السن بعد .

المهدى : يا سيد خليل إننا نزوج بناتنا فى سن أصغر من سنها .

خليل : ثم .. ثم الإسلام .

نابليون : أنا مسلم .

خليل : لا يكفى أن تقول إنك مسلم .

المهدى : قل الشهادتين أمامه . قل معى : أشهد أن لا إلـه إلا الله ، وأن محمدا رسول الله .

نابليون : أشهد أن لا إلـه إلا الله ، وأن محمدا رسول الله .

المهدى : لم يبق لك الآن من عذر .

خليل : فليمهلنا شهرا على الأقل لنستعد .

المهدى : قلت لك إنه لا يريد أى احتفال . يريد أن يبنى بها سرا بغير طبل ولا زمر .

خليل : سيكون فى ذلك ظلم للفتاة .

المهدى : ظلم .؟ إنها ستكون سلطانة المسلمين ، وستكون أنت حما السلطان الكبير .

خليل : لا يصح أن نزوجها هكذا بغير وليمة ولا فرح .

نابليون : سنقيم الولائم والأفراح بعد أن نعود من حملة الشام .

خليل : أمهلنا إذن بضعة أيام .

نابليون : ألم تقص عليه الرؤيا التى رأيتها البارحة يا شيخ مهدى ؟

المهدى : بل قصصتها عليه .

نابليون : أريد أن تشملنى بركتها الليلة .

المهدى : هيا يا سيد خليل ارجع إلى البيت فطيب خاطر الفتاة ودعهم يهيئوها ، وسآتى أنا بالمأذون والشهود وما يلزم . توكل على الله .

خليل : (**مغموما**) يفعل الله ما يشاء . (**يتهيأ للخروج**) .

المهدى : انتظر .. سأخرج أنا معك . (**يخرجان**) .

(**تدخل بولين**)

نابليون : بولين أنت هنا ؟

بولين : (**غاضبة**) كما ترى .

نابليون : أحسنت إن لم تخرجى . هلمى بنا نتجول الآن ؟

بولين : تجول معها .

نابليون : (**ملاطفا**) يا صغيرتى لا ينبغى أن تغارى . إن عرش الغرب سيكون أكبر من عرش الشرق .

بولين : والزواج ؟

نابليون : (**يسارها بكلام غير مسموع**) ...

بولين : صحيح !

نابليون : نعم .

بولين : لكن مسكينة . حرام .

نابليون : يا شقية . خبرينى كيف أرضيك ؟ (**يقرصها ممازحا**) .

بولين : (**فى دلال**) يوم تكون أنت لى وحدى .

نابليون : وعرش الشرق ؟

بولين : لى أنا أيضا .

نابليون : وبذلك أتريدين أن تبتلعى العالم كله ؟

بولين : لا تخف . جوفى كبير مثل جوفك .

نابليون : أيتها الخياطة الصغيرة من كاركاسون .

(يضمها إلى صدره)

بولين : أيها الجندى الصغير من كورسيكا .

(ستار)

الفصل الثانى

حجرة الاستقبال فى بيت بولين « مدام فوريه » .
نفس المنظر كما فى الفصل الأول .
الوقت : الضحى .
(يرفع الستار عن بولين وزينب داخلتين) .

بولين : أهلا بك يا زينب . تفضلى .
زينب : أين هو ؟
بولين : زوجك السلطان الكبير ؟
زينب : اتسخرين يا بولين ؟
بولين : منه هو يا زينب لا منك . أنت تعلمين أننى دائما معك .
زينب : لا كان اليوم الذى تزوجنى فيه . أين هو ؟
بولين : خرج من الصبح . وسيعود .
زينب : متى ؟
بولين : لن يغيب طويلا فقد أمرنى أن أنتظره . اجلسى نتحدث .
زينب : (**تجلس**) ربما يزعجك حضورى إلى بيتك .
بولين : بالعكس . يسرنى دائما أن أراك وأسمع منك .
زينب : إنه لم يعد يجىء عندى يا بولين .

بولين : سمعت أنك طردته من بيتك .

زينب : لما رأيته مصرا على موقفه . ماذا أصنع ؟

بولين : ألم أقل لك يا زينب إنه رجل لا خلاق له ؟ لا يفى بوعده ولا يحافظ على عهده ؟

زينب : ما كنت أحسب أنه سينقض عهده فى أمر كهذا لا يكلفه شيئا وهو عندى كل شيء . ماذا عليه لو أنه أعلن هذا الزواج واحتفل به ؟

بولين : رجل جبان . يخشى أن تصل الأنباء إلى زوجته الخائنة فى باريس .

زينب : كأننى عنده لا أساوى غضب امرأة فاجرة .

بولين : لا أنت ولا أنا ولا أى شيء فى الوجود . إنه يزداد لها حبا كلما أمعنت فى خيانته .

زينب : أمر عجيب .

بولين : تفسيره سهل .

زينب : كيف ؟

بولين : الحب عنده ينبع من الغيرة . أخلصى له يعرض عنك . خونيه يعبدك عبادة .

زينب : لكن ...

بولين : بلغنى أنك امتنعت عليه ولم تمكنيه من نفسك منذ رجع من حملة الشام .

زينب : هو الذى أخبرك ؟

بولين : ما أخبرنى صراحة ولكنى فهمت ذلك من ثنايا حديثه .

زينب : أجل يا بولين ولن أستجيب له أبدا حتى يحتفل بزواجنا ويعلنه للجميع .

بولين : أتحسبين أن هذا الأسلوب يفيد فيه ؟

زينب : يفيد أو لا يفيد .. هذا موقفى ولن أحيد .

بولين : لم لا تستعملين السلاح الذى يقطع بدلا من السلاح الذى لا يقطع ؟

زينب : كيف ؟

بولين : الشاب بوهارنيه ابن جوزيفين الفاجرة .

زينب : ما باله ؟

بولين : السلطان الكبير يغار كثيرا منه والشاب يلذ له أن ينتقم منه لأمه .

زينب : لست أعرف ماذا تقصدين .

بولين : دعينى من هذا . ما عدت اليوم قديسة ولا راهبة .

زينب : قديسة . راهبة . لست أفهم ما تعنين .

بولين : أصبحت مثلى الآن لا فرق بينك وبينى .

زينب : لم أفهم بعد .

بولين : عليك أن تعملى مثلى . كلما رأيت فتورا فى حبه لجأت إلى بوهارنيه .

زينب : كلا يا بولين معاذ الله .

بولين : لكى تثيرى غيرته فينزل حينئذ على حكمك .

زينب : أرجوك يا بولين لا تخلطى الجد بالهزل .

بولين : أنا جادة يا زينب ولست بهازلة .

زينب : مستحيل . هذا مستحيل .

بولين : ليس عنده مستحيل . فلماذا يكون عندنا نحن مستحيل ؟

زينب : هذا سلاح يذبحنا قبل أن يذبحه .

بولين : كلا بل يذبحه هو دون أن يذبحنا . جربى وسترين . صه . هذه عربته (**تنظر من الشباك**) جاء ومعه الجنرال كليبر .

زينب : كلا لا أحب أن يرانى أحد .

بولين : ادخلى إذن إلى حجرتى . سأستقبلهما ثم آتى إليك .

(تخرج زينب)

(يدخل نابليون ومع الجنرال كليبر)

كليبر : بونجور يا مدموازيل بليزل .

بولين : بونجور يا جنرال كليبر .

نابليون : هل سأل عنى أحد يا بولين ؟

بولين : لا .. لا أحد (**تدنو فتساره بحديث فيحرك رأسه علامة الموافقة**) (**تخرج**) .

كليبر : عندكم أحد يا سيدى القائد ؟

نابليون : لا أحد يسمعنا . تكلم على راحتك . ماذا عندك ؟ (**يجلسان**) .

كليبر : لن أطيل عليك . إلى متى نبقى هنا فى مصر ؟

نابليون : هذا السؤال غريب .

كليبر : أريد منك الجواب عليه .

نابليون : إلى أن نحقق كل أغراضنا من الحملة .

كليبر : وهل تطمع فى تحقيقها بعد ؟

نابليون : لا ينبغى أن نيأس أبدا يا كليبر .

كليبر : وهل ينبغى أن نكاذب أنفسنا ونخادعها . أنت نفسك يا بونابرت قد أيست .

نابليون : أبدا هذا غير صحيح .

كليبر : لا تحاول أن تخدعنى عن حقيقة ما فى نفسك . لقد راقبتك جيدا منذ عدنا من حملة الشام فوجدت اهتمامك مشدودا إلى مشروع آخر .

نابليون : أى مشروع ؟

كليبر : لا أدرى ما هو ولكنى على يقين أنك قد انفصلت عنا بأفكارك وأحلامك إلى مكان آخر .

نابليون : ليس لك يا كليبر أن تمنعنى من التفكير فى حالة فرنسا اليوم .

كليبر : فرنسا يا بونابرت ليست بلدك وحدك فليس من حقك أن تفكر فيها وحدك .

نابليون : ماذا تعنى ؟

كليبر : أعنى أننا لن نقبل بعد اليوم أن تتخذنا أدوات لتحقيق مطامعك وأحلامك .

نابليون : إن مطامعى وأحلامى هى مطامع فرنسا وأحلامها .

كليبر : كلا إنك لا تعير فرنسا أى اهتمام . كل اهتمامك منصب على نفسك .

نابليون : كيف إذن ولتنى فرنسا قيادة الحملة ؟

كليبر : على أمل أن ترعى مصلحتها قبل مصلحتك وأن تسعى إلى بناء مجدها هى لا مجدك .

نابليون : تلك جناية العبقرية على صاحبها .

كليبر : أن تحمله على الغرور والاستبداد .

نابليون : بل أن تثير فيمن حوله الغيرة والحسد .

كليبر : لكنها لا تثير فينا غير السخط والاشمئزاز .

نابليون : نتيجة الغيرة والحسد .

كليبر : بل نتيجة الأنانية والنرجسية وعبادة النفس .

نابليون : اليوم فقط تقول لى هذا ؟

كليبر : بل فى كل وقت .

نابليون : من وراء ظهرى .

كليبر : وفى وجهك .

نابليون : يا جنرال كليبر يجب أن تتعلم الصبر على المكاره فإنَّ الشجاعة وحدها لا قيمة لها بغير الصبر .

كليبر : أنت أحوج إلى هذه النصيحة منى .

نابليون : أنا لا أفقد الصبر مثلك بل أستمد من كل هزيمة قوة جديدة للنصر .

كليبر : منذا فقد الصبر على أسوار عكا غيرك ؟ لقد كنا نحاصرها

وكان مصيرها التسليم لو واصلنا الحصار ولكنك لم تصبر على الانتظار، فقررت الهجوم فى غير موضعه ولم تبال فى سبيل تحقيق مجدك الشخصى أن تضحى بالألوف من جنودنا البواسل بغير نتيجة سوى الهزيمة المنكرة وضياع هيبتنا فى كل مكان حتى صرنا مثار السخرية عند المصريين إذ تظاهرنا بالانتصار وعلى وجوهنا علائم الانكسار .

نابليون : ألم أقل آنفا إن لسان الهزيمة هو الذى يتحرك اليوم فى فمك ؟ هأنتذا صرحت بالسبب .

كليبر : ومن المسئول عن الهزيمة ؟

نابليون : هلا سألت من المسئول عن تلك الانتصارات كلها التى أحرزتموها قبل ذلك ؟

كليبر : أكنت تحرزها لو كنت وحدك ؟

نابليون : وهل كنت وحدى أمام أسوار عكا ؟

كليبر : نعم كنت وحدك إذ استبددت فيها برأيك .

نابليون : إذن فقد كنت وحدى أيضا فيما قبلها من المعارك من سهول اللمبادريا إلى وادى النيل .

كليبر : هذه إهانة بالغة لا نقبلها منك .

نابليون : أنت الذى وجهتها إلى نفسك وإلى أصحابك .

كليبر : ولا تقبلها فرنسا من جزيرة خاضعة لحكمها .

نابليون : إن فرنسا كانت أصدق حكما وأسد رأيا منك إذ اختارت ابنا من أبناء تلك الجزيرة فأسندت إليه قيادة جيوشها فى

الغرب والشرق .

كليبر : كان على ذلك الكورسيكى أن يعرف لفرنسا فضلها عليه فلا يوجه الإهانة إلى أبنائها الصميمين .

نابليون : هل من مصلحة فرنسا اليوم أن يقال إن كورسيكا إيطالية وأن الألزاس ألمانية ؟

كليبر : أتعرض بى يا سنيور بونابرته ؟

نابليون : أنت الذى عرضت بنفسك يا هير كليبر .

كليبر : إن كنت تحسبنى وحدى فأنت مخطئ . إن فى الجيش وبين الضباط لكثيرين يرون هذا الرأى فيك ويرون بقاءنا فى مصر عبثا لا طائل تحته .

نابليون : يا جنرال كليبر ليس لك ولا لغيرك أن تنشروا التذمر فى الجيش لتضعفوا من روحه .

كليبر : وهل بقى للجيش من روح بعد الأهوال التى لقيها فى حملة الشام ؟

نابليون : حملة الشام . حملة الشام . أتراك حقدت علىّ لأنى وعدتك بقيادتها ثم سحبتها منك ؟

كليبر : إنى ما كنت متحمسا لحملة الشام هذه فأحرص على قيادتها ، ولكن كل شىء عندك شخصى لا تستطيع أن تتصور غير ذلك .

نابليون : إنك ترمينى بدائك . لو قد نجحت الحملة لزعمت اليوم أنك أول المتحمسين لها .

كليبر : (ساخرا) أجل . أجل ولو ركعت بين يدى جلالتك أيها السلطان الكبير .

نابليون : ماذا تعنى ؟

كليبر : أنت تعرف ما أعنى .

نابليون : وضّح .

كليبر : لقد كنت تبغى أن تصل بنا إلى اسطنبول لتقضى على الدولة العثمانية وتبنى على أنقاضها دولة عربية إسلامية تكون قاعدتها القاهرة وتكون أنت سلطانها الكبير .

نابليون : أوَقد صدقت أنت هذه الأكذوبة التى اخترعتها لأخدع هؤلاء المصريين ؟

كليبر : بل كنت تقصدها حقا ولذلك توددت إلى المسلمين واستفتيت علماءهم فى إسلامنا وزعمت أنك رأيت نبيهم فى منامك ثم اتصلت بابنة البكرى لتجعلها سلطانة .

نابليون : إن من نكد الدنيا علىّ أن أحوك خدعة لأهل مصر فلا ينخدع بها أهل مصر وينخدع بها رجالى .

كليبر : المثل يقول : إن كنت كذوبا فكن ذكورا . أوَقد نسيت يوم دعوتنا دعوة صريحة إلى الإسلام وجعلت تبين لنا فضائله ومزاياه وتقرأ لنا من القرآن وتفسره كأنك من شيوخ الأزهر ؟

نابليون : ذاك يا صديقى شأن آخر فى الإسلام حقا كما وصفت وأعظم مما وصفت ولو قدر لنا أن نعتنقه لفتحنا لفرنسا

العالم .

كليبر : كأنك ما زلت تدعونا إلى اعتناقه حتى اليوم ؟

نابليون : هيهات . لا جدوى من ذلك فالصليبية التى توارثتموها من عهد لويس التاسع ما تزال تعميكم عن رؤية الحق وتصمكم عن سماعه .

كليبر : لقد حيرتنا يا رجل . تارة تمدح دين المسلمين وتارة تقول إنك تخدع المسلمين .

نابليون : كان ينبغى أن تفهم من ذلك — لو نظرت بعين الإنصاف — أن فرنسا عندى فوق عقيدتى وفوق رأيى وفوق مطامعى وفوق كل شىء .

كليبر : إذا كنت صادقا فيما تقول فاخرج بنا من هذه الأرض التى لم يبق لنا مستقبل فيها ولا أمل،وعد بنا إلى جمهوريتنا الفتية لنعلى بناءها ونرفع لواءها وندفع عنها أعداءها من كل جانب .

نابليون : هب أننا أردنا ذلك فأين الأسطول الذى يحملنا إلى هناك ؟

كليبر : ماذا عساهم يفعلون بنا ؟

نابليون : يعتبروننا أسرى حرب ويعدلون بنا عن القارة ليعطلونا عن الاشتراك فيما يكون فيها من حروب .

كليبر : يجب أن نأخذ منهم الضمانات الكافية .

نابليون : تذكر يا صديقى أن جيشنا هذا هو الذى دوخ أوربا قبل أن

يأتى إلى الشرق ، فأى فرصة للإنجليز إذا استطاعوا أن يخرجونا من مصر ثم يأخذونا فى الأسر .

كليبر : لا بأس أن نفاوضهم لنرى ما يكون من أمرهم .

نابليون : كلا . لا ينبغى أن نكشف لهم حرج موقفنا فى مصر .

كليبر : أوَتظنهم لا يعلمون بذلك ؟ إن لهم جواسيس فى كل مكان .

نابليون : ليس سماعهم عنا مثل سماعهم منا .

كليبر : (**محتدا**) إنك لا تريد أبدا أن تسمع لرأى غير رأيك .

نابليون : لقد تركتك تحاورنى منذ ساعة .

كليبر : أتمن علىّ بذلك ؟ تذكر إن كنت ناسيا أنك تخاطب كليبر .

نابليون : واعلم إن كنت جاهلا أننى أنا القائد العام .

كليبر : لا تنس أنى قدمت استقالتى ذات يوم فلم تقبلها .

نابليون : ذلك أحرى أن يستل السخيمة من صدرك فما منعنى من قبولها إلا اعتزازى بك ، وعرفانى لفضلك واعتدادى بشجاعتك وكفايتك .

كليبر : لتستغلنى فى تحقيق مآربك .

نابليون : قم يا صديقى الآن فإنك متعب وتحتاج إلى الراحة ، وعسى أن ترضى عنى ذات يوم حين ترى مدى حبى لك واعتمادى عليك .

كليبر : (**بين الرضى والسخط**) أتطردنى ؟

نابليون : (**فى لطف**) حرصا على راحتك وإبقاء على مودتك .

(يخرج كليبر)

نابليون : (**يتمتم**) سنيور بونابرته ! بعد كل هذه الأمجاد التى صنعتها لفرنسا . ابن كورسيكا ! سوف أريكم يا بنى الغال كيف تسجدون لعرش كورسيكا العظيم .

(يدخل بوريين)

نابليون : سمعت يا بوريين ماذا قال هذا الألزاسى المغرور ؟

بوريين : هذا يؤكد يا سيدى صحة المؤامرة التى يدبرونها ضدك .

نابليون : أجل .

بوريين : فعلام عولت ؟

نابليون : (**يتلفت يمنة ويسرة**) إياك أن تفضى بهذا السر لكائن من كان .

بوريين : اطمئن يا سيدى .

نابليون : لقد قررت يا بوريين أن أسبق قدرى هذا .

بوريين : بتحطيم المؤامرة فى الحال ؟

نابليون : كلا بل بالرحيل .

بوريين : إلى أين ؟

نابليون : إلى فرنسا .

بوريين : فى الوقت الحاضر .؟

نابليون : نعم .

بوريين : قبل أن تقضى على المؤامرة ؟

نابليون : إنها ضدى فإذا رحلت لم يبق لها مكان .

بوريين : ألا تخشى أن يضربوا ضربتهم قبل أن تتمكن من السفر .

نابليون : لا ، لا خوف من ذلك ، فالجيوش التركية آتية لغزونا فى القريب فسأوزعهم فى شتى المواقع لمواجهة هذا الغزو .

بوريين : ما زلت أرى يا سيدى ضرورة القضاء على المؤامرة قبل الرحيل .

نابليون : كلا يا بوريين . إنى إن بقيت هنا فلم أنجح فى القضاء على ثورتهم كان فى ذلك نهايتى إلى الأبد .

بوريين : بل ستقضى عليها يا سيدى لا محالة فهم أضعف من ذلك .

نابليون : حتى فى هذه الحالة فمجرد ثورة الجيش علىّ سيصمنى بالضعف والإخفاق . فلأسبق القدر يا بوريين ولأغير مجرى الأحداث ولأنقل مصيرى من ميدان إلى ميدان .

بوريين : سبْق القدر . هذه كلمة أسمعها منك اليوم لأول مرة .

نابليون : ولكنها ليست جديدة عندى . لقد فكرت يا بوريين طويلا فى مصير أبطال المآسى فاتضح لى واستغرق فى نفسى أنه كان فى وسعهم أن ينجوا من مصيرهم المحزن لو أنهم تحولوا قبيل اللحظة الحاسمة إلى ميدان جديد بعيد عن ميدان المأساة . وإذن لربما استطاعوا أن يحققوا فى الميدان الجديد آمالا كبيرة ما كانت تخطر لهم على بال .

بوريين : إنك يا سيدى لعجيب . كل يوم ينكشف لى منك شىء جديد .

نابليون : ثم لا تنس يا صديقى أن بقائى بالشرق بعد اليوم يعد عبثا لا طائل تحته ، إذ اتضح لى ألا سبيل إلى السيطرة على الشرق ما لم أسيطر أولا على الغرب .

بوريين : صحيح .

نابليون : ولا تنس كذلك يا بوريين أن فرنسا اليوم فى حاجة إلىّ . هل اقتنعت يا صديقى الآن ؟

بوريين : نعم .

نابليون : فإياك ثم إياك أن يعلم بهذا السر أحد .

(ينهض كأنه يتذكر شيئا فيصلح هندامه ويسوى شعره فينطلق نحو داخل البيت حيث يغيب لحظة).

(يخرج بوريين)

(تظهر بولين)

بولين : لا شأن لى . إنها زوجته . (**يتغير وجهها**) لكن فى بيتى وعلى مشهد منى .

(تظهر زينب وقد انحل شعرها وظهرت عليها آثار المقاومة خلفها نابليون كأنه يستعطفها) .

زينب : (**فى حدة وغضب**) اسمع . إياك أن تقترب منى وإلا صرخت فى الشارع وجمعت الناس عليك .

نابليون : أنت زوجتى يا زينب بمقتضى الشرع الشريف .

زينب : ولكنك تريدنى خليلة لك .

نابليون : الخليلة لا يعقد لها على كتاب الله وسنة رسوله .

زينب : ولكنك لا تريد أن تعتبرنى زوجة .
نابليون : هذا غير صحيح . من أين جاءتك هذه الفكرة .
زينب : نفذ إذن ما تعهدت به .
نابليون : فيما بعد يا زينب .
زينب : عقب حملة الشام . على هذا كان الاتفاق .
نابليون : لكن الحملة لم تنجح .
زينب : لا شأن لى بذلك .
نابليون : كنت أريد أن أجعلك سلطانة .
زينب : عجزت عن ذلك فلا تعجز أن تجعلنى زوجة .
نابليون : أنت زوجتى بالفعل .
زينب : كلا .. يجب أن يعرف الناس هذه الحقيقة .
نابليون : لا بأس قولى للجميع أنك زوجتى .
زينب : لن يصدقنى أحد . سيظنون بى الظنون .
نابليون : أريهم حينئذ قسيمة الزواج .
زينب : تلك مذلة لا أقبلها لنفسى . إعلان الزواج هو الاحتفال به .
نابليون : لا تكلفينى ما لا طاقة لى به .
زينب : لا طاقة لك بأن تحتفل ؟
نابليون : أنت تحسبينه هينا وهو عندى عظيم .
زينب : تخشى من زوجتك التى فى باريس ؟
نابليون : بل أخشى من خصومى هنا .

زينب : ماذا عساهم أن يصنعوا ؟

نابليون : سيستغلون ذلك فى التشهير بى وتشويه سمعتى الأدبية .

زينب : يا لك من أنانى . تخشى على سمعتك هناك ولا تخشى على سمعتى هنا ؟

بولين : أجل . لا حق لك إن سمعة المرأة أولى بالرعاية من سمعة الرجل .

نابليون : اسكتى أنت .

بولين : تذكر أنها من بيت عريق وأن والدها من أكبر المخلصين لك .

نابليون : لا شأن لك بما بينى وبينه . سأعرف كيف أرضيه .

بولين : أرض ابنته أولا فهى صاحبة الشأن .

نابليون : قلت لك اهتمى بشأنك .

بولين : كان عليك أن تحفظ لها كرامتها وسمعتها حتى ولو لم يشترطوا ذلك عليك . فكيف وقد اشترطوه وتعهدت لهم به ؟

نابليون : هذا ليس من شأنك .

بولين : تلميذتى وصديقتى وكنت أنا السبب فيما وقع لها منك .

نابليون : لا تصدقيها يا زينب فهى لا تريد الخير لك .

بولين : كيف لا أريد الخير لها وأنا أطالبك بأن تعطيها حقها ؟

نابليون : بل لك غرض آخر يا خبيثة .

بولين : من مصلحتها هى أيضا أن يتحقق الغرض الذى تشير إليه .

نابليون : زينب ، إنها تريد أن يخلو لها الجو إذا طلقتكما أنت وجوزيفين .

زينب : أنا لا شأن لى بجوزيفين .

نابليون : وطلاقك أنت ألا يعنيك أمره .

زينب : يوم المنى عندى يوم أحصل على الطلاق منك .

نابليون : ألا تحبيننى يا زينب ؟

زينب : ماذا أحب فيك ؟

نابليون : فكيف فيك أن تزوجتِنى ؟

زينب : لأنك خدعتنى ومنيتنى الأمانى .

نابليون : كلا ما خدعتك . لقد كنت حقا أريد أن أجعلك سلطانة .

زينب : بل اتخذتنى ألعوبة .

نابليون : كلا والله .

زينب : كما أردت أن تتخذ الإسلام ألعوبة .

نابليون : أنت أيضا تلومیننى فى ذلك كالفرنسيين .

زينب : (**تبكى**) أنا التى أستاهل . كان ينبغى ألا أصدقك ولو أسلمت مائة مرة ، ولو أحييت لى جدك العاشر الذى زعمت أنه شريف عربى من جزيرة صقلية .

(تنظر بولين إلى نابليون فى ضحك مكتوم)

بولين : عربى من صقلية ؟

زينب : نعم . من الذين فروا منها عند سقوط حكم العرب .

(يدخل بوريين)

بوريين : معذرة .. السيد خليل البكرى والسيدة زوجته .

بولين : أهلا وسهلا . **(تنطلق لاستقبالهما)**

(يدخل خليل وأم زينب)

نابليون : مرحبا بكما . تفضلى يا سيدتى . تفضل يا سيد خليل .

زينب : ماذا جاء بكما ؟

أم زينب : من أجلك يا بنتى . نريد أن نحل مشكلتك .

خليل : علمنا أنك هنا فحضرنا .

زينب : مشكلتى لا يحلها غيرى وغيره .

خليل : لعلنا نستطيع يا بنتى أن نصنع شيئا .

أم زينب : يا سيد بونابرته إن كنت لا تريدها فطلقها بإحسان .

نابليون : أنا أريدها يا سيدتى ولكنها هى التى لا تريدنى .

أم زينب : لأنك لم تشأ أن تحتفل بالزواج كما وعدت .

نابليون : أنا قلت لها فيما بعد .

أم زينب : يا سيد بونابرته إن سمعتها لا تحتمل الانتظار . ولقد وثقنا بعهدك فلا ينبغى أن تنقض عهدك .

نابليون : الظروف يا سيدتى لا تسمح الآن .

خليل : إن كنت تعنى التكاليف فاجعلها كلها علىّ .

نابليون : كلا يا سيد خليل . موانع أكبر من ذلك .

خليل : أى موانع ؟

نابليون : من السياسة العليا لا يجوز لى أن أبوح بها .

زينب : لا تصدقوه إنه يخاف من امرأته التى فى باريس والتى تخونه هناك .

خليل : صه يا زينب .

زينب : هذه هى الحقيقة . كل الناس تعرف ذلك .

أم زينب : هل لك يا سيدى أن تسدى إلينا معروفا فتطلقها ؟

نابليون : إن كان هذا هو مرادكم فليكن .

أم زينب : شكرا يا سيدى .

زينب : لعلك تريد أن تطلقنى فى السر كما تزوجتنى فى السر ؟

نابليون : نعم .

زينب : كلا . لا بد من الاحتفال بالزواج أولا ثم الطلاق .

نابليون : هذا يدل على أنك غير صادقة الرغبة فى الطلاق .

زينب : (**فى لهجة ساخرة**) لعلك تظننى متيمة بحبك ؟ أليس كذلك ؟

نابليون : ربما .

زينب : كلا .. يجب أن تعلم اليوم أن حبك لم يلامس قلبى قط .

أم زينب : زينب .

زينب : دعينى أكشف له الحقيقة .

أم زينب : معذرة يا سيدى . هذا من دلالها عليك .

زينب : كلا . هذا هو الحق الذى لا ريب فيه .

نابليون : أنا ما أكرهتك على الزواج . لم إذن تزوجتِنى ؟

زينب : لأنك خدعتنى بمعسول كلامك وملأت رأسى بتلك

الأحلام الوردية التى زعمت أنك قادر على تحقيقها . العرب يا زينب أولى بالخلافة من الترك . دار الخلافة يجب أن تكون فى القاهرة لا فى اسطنبول . سأعيد وحدة الأمة العربية التى مزقها الأتراك والمماليك . سأحيى روح الجندية فى هذا الشعب من جديد . وسأبنى على ضفاف النيل دولة عربية كبرى يخضع لها الشرق كله . إلى آخر تلك الأوهام .

نابليون : هذه ليست بأوهام يا زينب . بل حقائق تعيش فى نفسى حتى الآن . ولم يكن تحقيقها أصعب عندى من قيامنا بهذه الحملة التى فتحنا بها مصر ، غير أن الأقدار لم تأذن بتحقيقها فى هذه المرة .

زينب : أتريد أن تقول إنك تطمع فى تحقيقها مرة أخرى ؟

نابليون : بغير شك .

زينب : تعاود الحملة على الشام ؟

نابليون : كلا سوف أحققها المرة القادمة من طريق الغرب .

زينب : من طريق الغرب ؟ كيف .

نابليون : سأقوم بإخضاع أوربا أولا ثم أتوجه إلى آسيا من طريق اسطنبول فالأناضول فالشام ، فأقيم فيها تلك الدولة العربية الكبرى .

زينب : منذا يصدق هذا الكلام ؟ هذه أحلام جديدة أوسع من الأولى وأمعن فى الخيال والوهم .

نابليون : سترين غدا أنها أقرب مما تتصورين . وستندمين يومئذ وتتحسرين .

زينب : كلا لا تحاول أن تخدعنى مرة أخرى .

أم نابليون : سيدى أراك راغبا بعد فى زينب .

نابليون : نعم .

أم زينب : فلم لا تجيبها إلى ما تريد ؟ إنه يسير عليك .

نابليون : كلا يا سيدتى ليس بيسير .

زينب : سبحان الله ! يزعم أنه يستطيع أن يفتح الغرب والشرق ثم لا يستطيع أن يحتفل بزواجه .

أم زينب : إذن فليس أمامنا غير الطلاق .

نابليون : إن لم يكن منه بد فليكن .

زينب : الاحتفال بالزواج أولا ثم الطلاق .

نابليون : أرأيتم تعنتها وعنادها ؟

أم زينب : لا بأس إذن يا بنتى .

زينب : إنه يريد أن يذلنى يا أماه ، ولا والله لا أذل له أبدا .

أم زينب : اسمعى يا بنتى .. سنزوجك محيى الدين ابن عمك .

زينب : بعد كل الذى حدث ؟ ما ذنبه ؟

أم زينب : إنه يريدك .

خليل : أجل يا زينب لقد كلمنى فى ذلك .

زينب : شفقة علىّ ليسترنى . أنا لا أريد شفقة من أحد .

أم زينب : كلا يا بنتى . إنه ما زال يحبك ويرغب فيك .

زينب : كلا أنا لا أرضى له ذلك ولا لنفسى .

خليل : يا إلٰهى ماذا نصنع الآن ؟

زينب : كل منا يتحمل تبعة عمله .

خليل : سامحينى يا بنتى ..

زينب : كلا ليس ذنبك يا أبى .. أنت ما أكرهتنى على شيء .

أم زينب : ذنبى أنا إذ شجعتك .

زينب : كلا يا أمى ولا ذنبك أنت . إنه ذنبه هو إذ خدعنى وذنبى أنا إذ انخدعت .

(تنهض بقوة وتنتبذ ناحية فتنهال على بطنها ضربا بكلتا يديها وبكل قوتها) .

الجميع : (**فى دهش وارتياع**) زينب . ماذا تصنعين يا زينب ؟

زينب : (**تمضى فى الضرب**) هذا جزائى وجزاؤه . (**يحاولون أن يمنعوها فتحيد عنهم**) دعونى . دعونى . لا شأن لكم .

أم زينب : حرام عليك يا زينب .

زينب : الحرام أن يبقى فى بطنى .

أم زينب : ما ذنبه يا زينب ؟ ما ذنب الجنين المسكين ؟

زينب : ذنبه أنه دخيل ابن دخيل .

نابليون : (**يدرك الحقيقة**) انتظرى يا زينب .

زينب : ابتعد عنى . **(تمضى فى الضرب الشديد)** .

نابليون : لماذا لم تخبرينى ؟

زينب : هأنذا أخبرتك بموته .

(ثم ترتمى على أمها وأبيها وهى تتمتم باكية)

مات الدخيل .. مات الدخيل ..

(ستــار)

الفصل الثالث

« فى ملهى التيفولى » .

المنظر : جانب من التراس المحيط بالملهى فى الحديقة .

فى صدر المسرح باب كبير هو باب الملهى حيث البار والمرقص وصالات البلياردو وغيرها .

موائد منتثرة على الجانب المرئى من التراس .

الوقت : بعد العصر عند الأصيل .

(يرفع الستار وشمس يوليه لا تزال ترسل بقايا أشعتها اللافحة على التراس فالموائد خالية بعد إذ الذى يحضر من الرواد يؤثر الدخول فى مبنى الملهى ليجلس فى المشرب أو يزاول بعض الألعاب .

يظهر شاب وسيم يتلفت حوله كأنه يبحث عن شخص معين . يخرج له من باب الملهى جرسون نوبى فى هندام حسن) .

الجرسون : أى خدمة يا سيدى ؟

الشاب : الست زينب موجودة ؟

الجرسون : زينب من ؟

الشاب : زينب .. زينب خليل .

الجرسون : آه . التى تسمى نفسها مدام بونابرت ؟

الشاب : تمام . (**يضع فى يده بعض النقود**) .

الجرسون : موجودة .. تفضل يا بيه . هذه المائدة محجوزة لها (**يشير إلى إحدى الموائد**) .

الشاب : محجوزة لها ؟

الجوسون : أقول لها من يا بيه ؟

الشاب : محيى الدين .

(**تظهر زينب من الباب**)

زينب : محيى الدين .

محيى الدين: زينب .

زينب : (**تصافحه بحرارة**) ماذا جاء بك هنا ؟

محيى الدين: لأراك يا بنت عمى وأطمئن عليك .

زينب : (**تتأثر من كلامه**) اجلس قليلا معى . (**يجلسان**) لبست هذا الطربوش لئلا يعرفك أحد ؟

محيى الدين: من أجلك أنت يا زينب .

زينب : فيك خير يا محيى . أنت الذى فيهم .

محيى الدين: الجميع يحبونك يا زينب .

زينب : معذورون . أصبحت عارا عليهم .

محيى الدين: أنت أيضا معذورة .

زينب : من قلبك يا محيى الدين ؟

محيى الدين: الله يشهد .

زينب : الحمد لله . كلمتك هذه بالدنيا عندى .

محيى الدين: أليس لى يا زينب أن أطمع منك فى كلمة مثلها ؟

زينب : ما حاجتك إليها يا محيى الدين وأنت طاهر كماء المطر ؟

محيى الدين: لأنى أعيش كأن ذنوب البشر كلها على ظهرى .

زينب : لم يا ابن عمى ؟

محيى الدين: لأنى ليس لى مكان فى قلبك .

زينب : أنت إذن لا تعرف قلبى .

محيى الدين: أنا أعرف أننى لست فيه ولا أمل لى أن أكون فيه .

زينب : بالعكس يا محيى الدين .. ليس فيه غيرك . وهذا سر مأساتى .

محيى الدين: سر مأساتك أننى فى قلبك ؟

زينب : وألا سبيل لى إليك .

محيى الدين: ذاك فيما مضى .

زينب : وإلى الآن وأخشى أن أقول إلى الأبد .

محيى الدين: قد زال المانع يا زينب .

زينب : وحدث مانع جديد أقوى من الأول .

محيى الدين: أنت التى خلقته لنفسك .

زينب : أتظن حقا أنه كان باختيارى ؟

محيى الدين: لو رضيت بالزواج منى بعد طلاقك منه ..

زينب : لكنت سترت عليّ وأنا لا أحتمل هذه المنة من أحد .

محيى الدين: أنا ما كنت لآمنها عليك .

زينب : إذن تكون المنة أكبر وأثقل .

محيى الدين: يا إلٰهى .

زينب : ولكنت سترت عليه هو أيضا . وأنا أريد أن أنتقم منه وأفضحه .

محيى الدين: إنك تنتقمين منه فى نفسك فكأنما تنتقمين من نفسك .

زينب : ما كان لى سبيل غير ذلك . أردت أن أقتل ابنه فقتلت ابنى . ثم أردت أن أهتك عرضه فهتكت عرضى .

محيى الدين: إذن فما كان ينبغى أن تنتقمى ألبتة .

زينب : وهل كنت أحتمل أن أربى ولده والناس تحسبنى خليلته ؟

محيى الدين: بلغنى أنه لو عرف أنك حامل لرضى أن يحتفل بزواجك .

زينب : نعم وما كنت حينئذ لأقبل .

محيى الدين: لماذا ؟

زينب : لست أقبل أن يهيننى لذاتى ثم يكرمنى من أجل غيرى .

محيى الدين: من أجل ولدك يا زينب .

زينب : بل من أجل ذاته هو .

محيى الدين: الذى سمعته عنه يا زينب أنه كان يعزك ويقدرك .

زينب : كما يحترم الإسلام ويقدره بلسانه دون عمله .

محيى الدين: لعل له عذرا وأنت تلومين .

زينب : أى عذر ؟

محيى الدين: الناس فى بلده لا يقبلون تعدد الزوجات . ورجال جيشه لا يقبلون الإسلام .

زينب : أراك تدافع عنه كأنما هو الذى بعثك .

محيى الدين: كلا ، ولكنى أقول ما أعتقد .

زينب : كأنك تحب أن أعود إليه ؟

محيى الدين: خيرا مما أنت فيه .

زينب : إنما الخير والشر يا محيى الدين لمن يملك التمييز بينهما ، أما أنا فقد اختلطا عندى .

محيى الدين: من عنادك يا زينب وكبريائك .

زينب : وهل بقى عندى شىء غير عنادى وكبريائى ؟

محيى الدين: زينب إن الناس لا يعرفونك اليوم على حقيقتك .

زينب : وما شأنى والناس ؟

محيى الدين: لكنك بالأمس كنت تخافين أن يظنوك خليلته .

زينب : ذاك من فعله هو أما هذا فمن فعلى .

محيى الدين: لست أدرى يا زينب من أين أمسكك ؟

زينب : حذار فأنا كالغريق لا تستطيع أن تنقذنى وأستطيع أن أغوص بك .

محيى الدين: فلتغوصى بى إلى الأعماق عسى أن نطفو معا ذات يوم .

زينب : ماذا تعنى يا ابن عمى ؟

محيى الدين: أنت تستثيرين غيرته بهذا الذى اسمه بوهارنيه ؟

زينب : نعم وأذل كبرياءه وأمرغها فى التراب .

محيى الدين: فاجعليني أنا مكان بوهارنيه .

زينب : كلا يا ابن عمى أنت أكرم من ذلك .

محيى الدين: بحياة عينيك يا زينب .

زينب : ثم إنك لا تصلح لهذا الغرض فلن يغار منك كما يغار من بوهارنيه ابن زوجته .

محيى الدين: ابن زوجته ؟

زينب : نعم . تصور هذا الشاب هو ابنها فكم يكون سنها الآن ؟ عجوز حيزبون . دردبيس . ومع ذلك تخونه . ومع من ؟ مع فتى فى سن ابنها . ومع ذلك يحبها هذا الديوث . ويخشى أن يغضبها على البعد .

محيى الدين: زينب . إنك تحبينه .

زينب : كلا .

محيى الدين: أراك تتحسرين عليه .

زينب : بل على نفسى وعلى أمانىّ الكاذبة وعلى ما ضاع من كرامتى وكرامة أهلى وكرامة بلدى وقومى . (**تبكى**) .

محيى الدين: (**متأثرا**) زينب . ما جئت لأثير شجونك بل لأسرى عنك .

زينب : فانصرف فى أمان الله . لا يرونى أبكى فيشمتوا بى .

محيى الدين: (**يخرج كيسا من جيبه**) خذى يا بنت عمى .

زينب : ما هذا ؟ كيس ذهب ؟ من قال لك إننى ... ؟

محيى الدين: على سبيل القرض يا زينب . لعلك تحتاجين إليه وعندى

المزيد .

زينب : شكرا . عندى ما يكفينى .

محيى الدين: من أين ؟

زينب : (**محتدة**) من أين ؟ من فلوسى التى عند جدتى خديجة فى الجودرية . إياك أن تظننى أقبل شيئا من هؤلاء الكلاب .

محيى الدين: لا يا زينب . أردت فقط أن أستوثق أن عندك ما يكفيك (**ينهض**) على كل حال إذا احتجت إلى أى عون فعندك محيى الدين ابن عمك .

زينب : (**تصافحه مودعة**) شكرا يا ابن عمى . فى أمان الله .

(**يخرج محيى الدين**)

(**يظهر المسيو دارجفيل مدير الملهى من الناحية المقابلة**) .

زينب : (**تتجلد وتواجهه متحدية**) كنت تتسمع إلى حديثنا يا مسيو دارجفيل ؟

دارجفيل : كلا يا مدام بونابرت أنا كنت بعيدا هناك عند كشك الموسيقى . من هذا الذى كان عندك ؟

زينب : كنت ترقبنا ؟

دارجفيل : نعم . من واجبى أن أعرف رواد المحل ولا سيما الليلة ليلة الأحد كما تعلمين .

زينب : خوفا على حياة صاحبك .

دارجفيل : حرصا على راحة كل واحد . من هو من فضلك ؟ لا تخافى ..

السر محفوظ عندى كما تعلمين .

زينب : ابن عمى .

دارجفيل : ها .. ابن عمك . قد قلت لنفسى هذا شاب محترم وليس من أولئك الذين يثيرون الشغب . انظرى . ذاك الكونت بوهارنيه . أراهن أنه جاء من أجلك .

(**يخرج**)

(**يدخل بوهارنيه**)

بوهارنيه : بونسوار مودموازيل بكرى .

زينب : مدام بونابرت من فضلك .

بوهارنيه : بونسوار مدام بونابرت (**يجلسان**) .

زينب : هيه .. اتصلت بالمسيو فوريه ؟

بوهارنيه : نعم واتفقت معه على كل شىء .

زينب : وأعطيته المبلغ ؟

بوهارنيه : وأعطيته المبلغ ففرح كثيرا وسقانى كأسا على حسابه .

زينب : جئت به إلى الخمارة التى بجوار الحديقة ؟

بوهارنيه : نعم هناك سقانى الكأس .

زينب : وفهمته متى يدخل .

بوهارنيه : بعدما يسمع نشيد المارسييز .

زينب : عال عال . أنت عظيم يا كونت بوهارنيه .

بوهارنيه : شكرا يا مدموازيل بكرى .

زينب : مدام بونابرت .

بوهارنيه : مدام بونابرت . آسف . دائما أنسى اسم هذا الرجل .

زينب : (**مداعبة**) لا بد أنك تحبه كثيرا يا بوهارنيه كما تحبه أمك .

بوهارنيه : (**فى جد**) اسمعى يا زينب . إذا أردت أن نبقى أصدقاء فلا تتعرضى لسيرة أمى .

زينب : أنا لم أقل إلا خيرا .

بوهارنيه : لا بخير ولا بشر .

زينب : اتفقنا يا بوهارنيه . يكفى أنها زوجة بونابرت .

بوهارنيه : كلا يا زينب .. العنى بونابرت كما تشائين لا اعتراض لى على ذلك فهو يستحق .

زينب : (**ساخرة**) لكن لماذا تحبه كل هذا الحب .؟

بوهارنيه : تقصدين لماذا أكرهه كل هذا الكره ؟ لأنه أفسد حياة أمى .

زينب : تذكر . أنت الذى تعرضت لسيرتها الآن .

بوهارنيه : أوه .. اسمعى يا زينب . ما من امرأة اتصل بها إلا أفسد حياتها . هو السبب فى فساد أمى — صدقينى — ما كانت كذلك من قبل . كانت عفيفة صالحة تتردد على الكنيسة كل يوم .

زينب : هيه ...

بوهارنيه : أنا قلت له كثيرا اصحب أمى معك إلى مصر . لا تتركها وحدها فى باريس . أنت لا تعرفين باريس يا زينب . مدينة المغريات ، ولا تستطيع المرأة الوحيدة فيها أن تسلم من هذا

الإغراء أو ذاك .

زينب : هيه .

بوهارنيه : وهل تعلمين أنه عين عليها جواسيس من أقربائه . ينقلون إليه أخبارها بالكذب ؟ إنها فى الأربعين الآن فتصورى ماذا يقولون عنها ؟ قالوا إنها تدلهت بحب شاب فى مثل سنى أو أصغر . يريد أن يشوه سمعة أمى بكل سبيل ومع ذلك يزعم أنه يحبها .

زينب : (**تنهره**) أوه بدأت فى سيرة أمك ولن تنتهى .

بوهارنيه : إنها مظلومة يا زينب . مسكينة .

زينب : خض بنا فى حديث آخر .

بوهارنيه : لماذا ؟

زينب : يجب أن يراك معى وأنت مرح بشوش لا كئيب حزين .

بوهارنيه : إنه لم يحضر بعد .

زينب : منتظر حضوره فى كل لحظة .

(**يحضر لهما الجرسون النوبى زجاجة البرندى فيتساقيان**) .

زينب : نسيت أن أخبرك أننى حجزت للمسيو فوريه تلك المائدة .

(**تشير إلى المائدة رقم ٢**)

بوهارنيه : المجاورة لمائدة بونابرت ؟

زينب : نعم .. وشوش هذا الجرسون النوبى .

(**يضحكان**)

(تدخل جاكلين وفرانسواز وزوجاهما الضابطان فيجلسون على المائدة المجاورة) .

(المرأتان تنظران إلى زينب وبوهارنيه وتتغامزان بينما استغرق الضابطان فى حديث خاص) .

جاكلين : ما رأيك فيها ؟

فرانسواز : لا بأس بها .

جاكلين : لا تظلميها يا فرانسواز . أليست أجمل من مدام فوريه ؟

فرانسواز : لا يا جاكلين . مدام فوريه أجمل . لو لم يكن لها غير شعرها الطويل الرائع .

جاكلين : ليس فيها غير شعرها . لكن انظرى إلى هذه . انظرى إلى عينيها .

فرانسواز : ليستا أجمل من عينى مدام فوريه .

جاكلين : كلا أنت متحيزة ضد السمر .

فرانسواز : وأنت متحيزة ضد الشقر .

جاكلين : لكن يا فرانسواز لماذا نطرى جمالها وننسى جمالنا نحن ؟

فرانسواز : لأن القائد الكبير لم يستطع أن يرى ما فينا من الفتنة .

جاكلين : لعلنا لم نحسن كيف نغازله .

فرانسواز : أنت يا جاكلين التى أيأستنا منه . قلت إنه لا أرب له فى النساء .

جاكلين : لقد تبين اليوم أنه يريد حقا أن يكون مثل يوليوس قيصر .

(يحضر الجرسون الشراب لهم فينقطع حديثهم

ويشربون) .

زوج جاكلين : لقد شغلنا عنكما ، فيم كنتما تتحدثان ؟

زوج فرانسواز : عن يوليوس قيصر أظن . سمعتكما تذكران يوليوس قيصر .

فرانسواز : كنا نتحدث عن بونابرت .

جاكلين : (**مستدركة**) وعن هذه البنت المصرية التى يقال إنه أحبها أو تزوجها أو اتخذها خليلة . الأقوال متضاربة ولا أحد يعلم الحقيقة .

فرانسواز : وعن تلك العشيقة الأولى التى تركت زوجها وراحت له .

زوج فرانسواز : مدام فوريه .

فرانسواز : نعم .

زوج جاكلين : لا حديث لكما إلا عن بونابرت ومغامراته الغرامية .

زوج فرانسواز : شأن النساء جميعا . لا يلذ لهن غير هذا الحديث .

جاكلين : كلا لسنا كسائر النساء فى ذلك . كانت لنا معه تجربة خاصة .

الزوجان : تجربة خاصة ؟ مع بونابرت ؟

فرانسواز : نعم .. احكيها أنت يا جاكلين .

جاكلين : أنا خجلانة .

فرانسواز : وأنا أيضا خجلانة .

الزوجان : احكيا .. ماذا حدث ؟ يجب أن نعلم كل شىء .

جاكلين : اطمئنا .. واحمدا ربكما . الذى خطر ببالكما لم يقع .

الزوجان : فماذا وقع ؟ احكيا .

جاكلين : أراد ذات يوم وأنتما غائبان فى بعض عمليات الأقاليم أن يغازلنا أنا وفرانسواز فقلنا له هيهات . ترسل أزواجنا إلى ميدان القتال لتغازلنا فى غيبتهم ؟

فرانسواز : لعله كان يريد أن يتخذنا خليلتين له إحداهما شقراء والأخرى سمراء كما فعل مع مدام فوريه وهذه البنت المصرية .

جاكلين : لكن من حسن حظكما أنكما تزوجتما امرأتين عاملتين .

فرانسواز : صالحتين مستقيمتين .

جاكلين : ضحتا فى سبيلكما بكل شىء .

فرانسواز : بالجاه والسلطان .

جاكلين : والعظمة والشهرة .

(تصدح الموسيقى بلحن المارسييز ويدخل دارجفيل كأنه يوسع الطريق ثم يدخل نابليون ومعه بولين فيعبران المسرح من الشمال إلى اليمين والعيون تتطلع إليهما حتى يجلسا على المائدة رقم ١) .

(يتركز الضوء على المائدة رقم ٣) .

زينب : إنه ينظر إلينا . افعل شيئا يا بوهارنيه .

بوهارنيه : ماذا أفعل .؟

زينب : قبلنى . كلا . ليس الآن ..

بوهارنيه : متى ؟

زينب : بعد قليل حتى لا يشعر أنها مفتعلة .

(ينتقل الضوء إلى المائدة رقم ١)

(الجرسون ينصرف عنها بعد أن وضع عليها زجاجة البرندى والأقداح) .

بولين : عيناك لا تتحولان عنها ماذا تريد منها بعد ؟

نابليون : هذا الشاب الوقح . ألا ترين ماذا يصنع ؟

بولين : أتغار من هذا الولد التافه ؟

نابليون : التافه . لعلك أنت يا بولين التى تغارين عليه .

بولين : هذا شيء مضحك .

نابليون : مضحك .؟

بولين : جدا . هيه . لأنك رأيتنى ذات يوم أتودد إليه ؟ إنما كنت أريد فقط أن أستثير غيرتك حتى لا يفتر حبك لى . هأنذا اعترفت لك بسرى اليوم .

نابليون : لعل هذا هو سرها أيضا فيما تفعله الآن .

بولين : كلا .. أنا كنت أحبك أما هى فتنتقم منك .

نابليون : تنتقم منى لأنها لا تزال تحبنى .

بولين : تحبك أو لا تحبك ما شأنى ؟

نابليون : أنت كنت السبب يا بولين .

بولين : كنت السبب فى ماذا ؟

نابليون : فى كل ما حدث . أخفيت عنى ذلك اليوم أنها حامل . لن

أغفرها لك أبدا .

بولين : قلت لك إننى ما كنت أعلم . لم تخبرنى .

بولين : غير معقول .. كانت تخبرك بكل شىء .

بولين : إلا هذا الحمل .. أخفته عنى .

نابليون : حتى لو أخفته عنك . لا يمكن أن يخفى عليك .. فى الشهر السادس .

بولين : فكيف خفى عليك أنت ؟

نابليون : أنا لست امرأة .

بولين : لا تلق اللوم علىّ . عد إليها إن شئت .

نابليون : الآن . فات الأوان .

بولين : كلا ما فات الأوان .

نابليون : لن ترضى .

بولين : احتفل بزواجها كما طلبت منك .

نابليون : لا أستطيع .

نابليون : ماذا يمنعك . هيه لا بد أنك تعتزم أمرا تكتمه عن الجميع .

نابليون : أى أمر ؟

بولين : الرحيل فجأة .

نابليون : إلى أين ؟

بولين : إلى فرنسا .

نابليون : صه . إياك أن تتحدثى قبل هذا الأحد .

بولين : هذا إذن صحيح ؟

نابليون : كلا ولكن مثل هذه الوشاية إذا انتشرت فى الناس فسيكون لها أثر خطير على مركزنا فى هذه البلاد وربما تندلع الثورات علينا من كل مكان .

(يدخل فوريه أشعث أغبر فى هيئة سيئة وخلفه دارجفيل كأنه يحاول أن يمنعه) .

دارجفيل : مسيو فوريه .. مسيو فوريه .

فوريه : ماذا تريد ؟

دارجفيل : أين تريد أن تجلس ؟

فوريه : ما شأنك ؟ سأجلس أينما يعجبنى (**ينظر إلى زينب فتومئ له إلى المائدة رقم ٢**) .

دارجفيل : تعال معى .. سأجلسك فى مكان ممتاز .

فوريه : كلا سأجلس على تلك المائدة (**يشير إلى المائدة رقم ٢ القريبة من مائدة نابليون**) .

دارجفيل : يجب أن تطيعنى يا مسيو فوريه .

فوريه : أطيعك أنت ؟ من تكون ؟

دارجفيل : أنا المدير العام لحديقة تيفولى .

فوريه : (**يتفل احتقارا**) وأنا قد اشتريتك يا مدير عام حديقة تيفولى .

دارجفيل : اشتريتنى ؟

فوريه : بهذه التذكرة (**يستقر بصره على نابليون وبولين**) أجل بهذه التذكرة اشتريت حديقة تيفولى كلها وهذا الملهى

بما فيه وبمن فيه من رجال خائنين وغير خائنين ونساء خائنات وغير خائنات . (**يجلس إلى المائدة**) .

دارجفيل : قم من هنا .

فوريه : هيه . أتريد أن أشتريك مرة ثانية ؟

(يتضاحك الحاضرون من كل جانب وهم يتطلعون إلى ما يدور) .

دارجفيل : هذه المائدة محجوزة .

فوريه : محجوزة لمن ؟ لمدام فوريه ؟

(يتجاوب المكان بالضحك)

نابليون : (**مناديا**) مسيو دارجفيل .

دارجفيل : نعم يا سيدى الجنرال .

نابليون : اترك المسيو فوريه فى مائدته .

دارجفيل : يا سيدى إنه غل .

نابليون : هذا أمر .

دارجفيل : مطاع يا سيدى (**ينسحب**) .

فوريه : كرم كبير يا سيدى القائد العام . الملازم فوريه يشكرك من صميم القلب .

نابليون : عفوا يا مسيو فوريه . هذا واجب .

فوريه : لكن لماذا لا تكمل جميلك مع مسيو فوريه ؟

نابليون : ماذا يريد مسيو فوريه ؟

فوريه : تعيد إليه مدام فوريه .

(يضج المكان بالضحك والهمهمة)

(بولين تحاول القيام للانصراف فيمنعها نابليون)

(دارجفيل يعود إلى فوريه ومعه عدد من حرس الملهى).

دارجفيل : أنت تخل بالنظام . يجب طردك .

فوريه : دعونى . لن أخل بالنظام مرة أخرى . سأترك لكم هذا العالم كله . سآخذ تعسيلة (**يضع رأسه بين ذراعيه على المائدة**) لعلى أن أحلم بها فى المنام . (**يسكن وينام**) .

(موسيقى الرقص كانت تسمع خافتة من داخل الملهى).

زينب : (**منتشية من نجاح الدور الذى قام به فوريه**) هلم يا بوهارنيه نرقص (**تنهض**) .

بوهارنيه : هلم . (**يرقصان فى وسط التراس**)

(نابليون ينظر إليها فى إعجاب وغيظ)

(بولين تنسل من جانبه فتدنو من أحد الجنود الواقفين فى طرف التراس فتساره بحديث طويل وتومئ له خفية إلى زينب ثم يخرج الجندى منطلقا وتعود بولين إلى مكانها) .

(ينتهى الرقص ويعود بوهارنيه وزينب إلى مائدتهما) .

نابليون : لماذا قمت إلى ذلك الجندى ؟

بولين : هل رأيتنى ؟ لقد كنت مشغولا برقصها مع بوهارنيه .

نابليون : ماذا طلبت من ذلك الجندى ؟

بولين : سترى الآن .

نابليون : بخصوص زينب ؟

بولين : نعم أتخاف عليها أنت ؟

نابليون : أخاف على سمعتى وأبوها من أصدقائى .

بولين : أعجبك ما فعلته الليلة إذ سلطت علينا فوريه ؟

نابليون : ربما كان هذا من بوهارنيه .

بولين : منها من بوهارنيه . هما الآن شىء واحد .

نابليون : بولين . يجب أن نسيطر على أعصابنا حتى لا يفلت منا زمام الأمر .

بولين : لا تخف . أنا مسيطرة على أعصابى .

(يعود الجندى ومعه ثلاث نسوة يبدو واضحا من مظهرهن أنهن من محترفات البغاء . يومئ لهن خفية إلى زينب فيتقدمن من نحو مائدتها فتجلس اثنتان على الكرسيين الخاليين فى المائدة وتبقى الثالثة واقفة) .

الأولى : (**لزينب**) مساء النور يا طبق بنور يا بدر البدور .

الثانية : يا سلام على جمالها وعلى كمالها .

الثالثة : صلاة النبى . صلاة النبى أحسن .

(يتأفف بوهارنيه من سوقيتهن ولكن زينب تتجلد وتومئ له أن يتجلد) .

زينب : تلزم خدمة يا هوانم ؟

الأولى : هوانم . أصبحنا هوانم . يا هوانم .

الثانية : الأدب زينة يا عنابة .

الثالثة : والنسب والحسب .

زينب : لا بد حصل خطأ فى العنوان .

الأولى : العنوان مضبوط يا أختى . المائدة رقم ٣ .

الثانية : والقمر . لا أحد يخطئ القمر .

(تشير إلى بوهارنيه)

الثالثة : بطة . لا تسرقى الخواجة من أختك . عيب .

الثانية : صحيح . نحن الآن أخوات . غاب عن بالى .

الأولى : أخوات من أين وهى هكذا ألافرنكه ؟

الثالثة : شيلى التوب الذى عليها تجديها مثلنا بنت عرب .

زينب : من غير شيل ولا حط يا أخواتى أنا بنت عرب مثلكن تماما . جمعنا الحظ العاثر ورمانا بين هؤلاء الخواجات . والله يتوب علينا وعلى أمثالنا من الضائعات .

(ينظر بعضهن إلى بعض مدهوشات مما سمعن من زينب) .

الأولى : كلامك يا أختى مثل الشهد . لكنك لست مثلنا . أنت من بيت عريق أصيل .

زينب : يا عنابة يا أختى ..

الأولى : وتعرف اسمى يا بنات . يا حلاوتها .

زينب : الإنسان يا عنابه بعمله لا بحسبه ولا بنسبه .

(يزداد عجبهن وحيرتهن لا يدرين ماذا يصنعن)

الثانية : لا مؤاخذة .. ما اسمك يا شابة .؟

زينب : زينب .

الثانية : وأبوك .

زينب : خليل .

الثالثة : خليل من ؟

زينب : خليل البكرى نقيب الأشراف اليوم .

الأولى : يا عينى عليها . قالت لنا كل حاجة .

الثانية : لا عابت فينا .

الثالثة : ولا ردت علينا بكلمة جارحة .

الأولى : يا حبيبتى يا زينب .

الثانية : يا قمورة . يا بنت الأكابر .

الأولى : (**فى لوعة وحرقة**) لم يا رب ؟

الثالثة : لم حكمت عليها بما حكمت علينا .

الثانية : أليس فينا نحن الكفاية ؟

زينب : (**تمسح بمنديلها دموعهن**) يا أخواتى لا تعترضن على الله . ادعونه لنا . بالتوبة والمغفرة .

الأولى : قولى لنا يا شابة هذا العسكرى العلج الذى سلطنا عليك ماذا بينك وبينه ؟

(**تشير إلى العسكرى فيهرب العسكرى**)

زينب : هو لا ذنب له .. هو مأمور .

الأولى : ومن الذى أمره ؟

زينب : تلك الفرنجية الجالسة مع سارى عسكر .

الثلاث : هو ذا سارى عسكر .؟ بونابرت ؟ السلطان الكبير ؟

زينب : نعم .

الأولى : هذا المسخوط .

الثانية : كنا نظنه بطول وعرض .

الثالثة : قصير مكير مثل فرعون موسى .

الأولى : ومن أين لك أن فرعون موسى قصير ؟

الثالثة : مما يصفونه لنا فى الأساطير .

(تتطلع العيون إليهن وإلى نابليون وبولين)

الأولى : يا رب .

الثانية : متى ترزقنا بموسى ؟

الثالثة : يخلصنا منه .

الأولى : يا رب .

(يبدو على نابليون الانفعال فيصفق)

زينب : يلوح لى يا أخواتى أنه سيأمر بطردكم .

الثلاث : ماذا نصنع ؟

(تتهامس زينب مع النسوة الثلاث كأنما تشرح لهن شيئا وتتفق معهن على خطة) .

نابليون : **(لبولين)** كل هذا منك .

بولين : منى أم منها ؟

نابليون : أنت التى جئت بهؤلاء البغايا .

(يدخل دارجفيل فيهمس له نابليون بكلام فيتقدم نحو النسوة الثلاث ومعه رجاله) .

دارجفيل : اخرجن من هنا .

الثلاث : كلا لن نخرج .. من تكون ؟

دارجفيل : أنا مدير الملهى .

الثلاث : ونحن لن ندخل هنا من غير دعوة .

دارجفيل : منذا دعاكن ؟

الثلاث : تلك المرأة التى مع سارى عسكر . سلها .. هى التى استأجرتنا هنا لمهمة .

دارجفيل : سارى عسكر هو الذى أمر بإخراجكن فإما أن تخرجن بالمعروف أو ..

الثلاث : كلا لن نخرج حتى نقبض أجورنا .

نابليون : أعطهن يا دارجفيل .

(يعطيهن دارجفيل أجورهن فيودعن زينب ويتهيأن للخروج) .

الأولى : **(تقترب من فوريه وتوقظه)** مسيو فوريه .

فوريه : **(يستيقظ)** بولين . بولين .

الأولى : بولين من ؟

فوريه : يا هذه لماذا أيقظتنى من حلمى الجميل . لقد كنت معها . لقد كانت معى . كنت معها .. كانت معى .. كنت معها .. كانت معى .. كنت معها .. كانت معى ..

الثلاث : من هى ؟

فوريه : مدام فوريه .

الثلاث : وأين هى الآن ؟

فوريه : هناك . هناك . هناك .

الثلاث : أين ؟

فوريه : فى المائدة رقم « ١ » (**يبكى**) .

(دارجفيل ورجاله يسوقون النسوة الثلاث حتى يخرجوا بهن) .

(ترقص زينب مع بوهارنيه رقصة حامية ونابليون وبولين ينظران إليهما فى غيظ) .

زينب : (**بعد انتهاء الرقصة**) اذهب الآن إلى مدام فوريه فاطلبها للرقص .

بوهارنيه : ربما ترفض .

زينب . : كلا لا تستطيع أن ترفض .

(يتقدم بوهارنيه إلى بولين يطلبها للرقص فترقص معه)

(ينظر نابليون نحو زينب فكأنها تطمعه فى مراقصتها فيتقدم إليها ولكنها تعرض عنه وتتقدم إلى فوريه فتأخذ بيده تدعوه لمراقصتها فيستجيب فرحا ويأخذان فى الرقص) .

(نابليون يعود إلى مكانه خجلان ولكنه يتجلد ويومئ إلى سكرتيره بوريين فيجلس إلى جانبه ويفتح حقيبة أوراقه فيراجعها مع بوريين متغافلا عما يدور حوله كأنه

فى خلوة مع بوريين) .

(تنتهى الرقصة فتعود بولين إلى مكانها فتجد نابليون يتجاهلها مستغرقا فى عمله وتواصل زينب رقصها مع فوريه حتى يتداعيا من أثر السكر ومن الإعياء فيسقطا على الأرض) .

(ستــار)

الفصل الرابع

« فى بيت محمد الألفى بك الذى كان يسكنه نابليون بالأزبكية السلاملك الذى اتخذه مكتبا له يستقبل فيه رجاله وضيوفه ويصرف فيه أمور الحكم ، وعن يمينه ممر فى الحديقة يصله بالبيت الذى لا يظهر على المسرح غير جانب صغير منه » .

الوقت : الصباح الباكر .

(حين يرفع الستار تجد جاكلين وفرانسواز واقفتين فى الممر تتطلعان) .

فرانسواز : أين هو ؟ قال الخادم النوبى إنه يتريض فى الحديقة .

جاكلين : الآن يظهر .

فرانسواز : أليس أفضل لو انتظرناه داخل المنزل ؟

جاكلين : كلا .. ربما يخرج لشأنه ولا نراه .

فرانسواز : انظرى . هو ذاك .

جاكلين : هل رآنا ؟

فرانسواز : نعم .

جاكلين : فسيقبل إذن فى الحال .

فرانسواز : لكنه ابتعد عنا يا جاكلين .

جاكلين : ليبدو إلينا من خلف تلك الشجرة ؟

فرانسواز : أنا خائفة .

جاكلين : من زوجك إذا علم ؟

فرانسواز : بل منه هو .

جاكلين : تشجعى . لن يأكلنا على كل حال .

(**يظهر كليبر**) .

كليبر : هل تكذبنى عيناى . أم أرى زهرتين ناضرتين فى حديقتى هذا الصباح .

فرانسواز : (**هاتفة**) يا إلـٰهى شاعر ..

جاكلين : أجل ما كنا نعلم يا سيدى القائد العام أنك شاعر غزل .

كليبر : (**يعود إلى وقاره**) لا تؤاخذانى .. كانت هفوة منى .

جاكلين : هذه ليست هفوة . هذه تحية عذبة .

فرانسواز : أم ترانا لا نستحقها يا سيدى الجنرال .

كليبر : بل تستحقان أكثر . ولكنى فوجئت بوجودكما فأنطقنى ما أنطقنى .

جاكلين : أجمل الغزل ، ما يرتجل .

كليبر : (**يتوقر أكثر**) هل من خدمة ؟

جاكلين : كنا نريد أن نكلمك فى أمرنا قبل اليوم .

فرانسواز : ولكنا كنا نهابك .. ونخشاك .

كليبر : أنا تحت أمركما .

جاكلين : بل نحن تحت أمرك .

كليبر : عفوا .. ماذا تريدان ؟

فرانسواز : لا نريد منك شيئا .. نريد فقط أن نخدمك .

جاكلين : لا تسىء فهم غرضنا ، نحن متزوجتان .

كليبر : أعلم ذلك .

جاكلين : وتعرف زوجينا ؟

كليبر : لا ، لم يتح لى هذا الشرف بعد .

فرانسواز : هذا أفضل ؟

كليبر : أفضل ؟

جاكلين : حتى لا تشعر نحونا بأى حرج . لقد رأينا من واجبنا أن نتولى تدبير منزلك .

فرانسواز : ونقوم لك بكل شىء .

جاكلين : حتى تشعر بالهدوء والاستقرار .

كليبر : أشكركما .. لكن عندى أنا الطباخ والسفرجى والخدم .

جاكلين : نحن نعلم ذلك ولكنك فرنسى لا يعجبك إلا المطبخ الفرنسى .

فرانسواز : والنظام الفرنسى .

جاكلين : وكنا قد خدمنا سلفك من قبل .

كليبر : بونابرت ؟

جاكلين : نعم . وفى هذا البيت .

فرانسواز : ولكنا لم نستطع أن نستمر .

كليبر : لماذا ؟

جاكلين : كنا لا نستلطفه . كان يتعالى علينا .

فرانسواز : ولا يحترمنا الاحترام الكافى .

كليبر : هل أنتما قريبتان ؟

الاثنتان : أختان شقيقتان .

كليبر : عجيب .

فرانسواز : لأنى شقراء وهى سمراء ؟

جاكلين : أمنا سمراء وأبونا أشقر .

فرانسواز : ونسكن فى منزلين متجاورين .

جاكلين : ففى وسعنا أن تجىء إحدانا إليك .

فرانسواز : وتقوم الأخرى بتدبير المنزلين .

جاكلين : فنرضيك أنت ونرضى الزوجين .

فرانسواز : ولكى يتم العدل بيننا على السواء .

جاكلين : ستأتيك يوما السمراء ويوما الشقراء .

فرانسواز : موافق يا سيدى الجنرال ؟

كليبر : موافق .

جاكلين : نبدأ من الغد ؟

كليبر : من الغد .

فرانسواز : إلى الغد .

كليبر : إلى الغد .

جاكلين : إلى بعد غد .

كليبر : إلى بعد غد .

(تخرجان)

كليبر : **(فى رضى وابتهاج)** آه .. أين كانتا من قبل ؟ كان الكورسيكى يحجز عنى كل شىء . كل شىء . كل شىء **(يصعد إلى السلاملك فيجلس إلى مكتبه)** كانتا لا تستلطفانه . كان يتعالى عليهما ولا يحترمهما الاحترام الكافى . ترى ماذا تعنيان ؟ لا بد أنه كان مشغولا عنهما بجوزفين وبولين وزينب .

(تظهر زينب فى هيئة سيئة وهندام غير أنيق وعلى وجهها أمارات الحزن والانكسار والتوحش) .

زينب : جنرال كليبر . جنرال كليبر .

(تصعد إلى السلاملك فى خطوات سريعة)

كليبر : من ؟ زينب ؟ ماذا تريدين ؟

زينب : كل يوم تسألنى ماذا تريدين ؟ ألم تفهم بعد ماذا أريد ؟

كليبر : وكل يوم تحضرين إلىّ .. ألم تفهمى بعد أن ما تطلبينه مستحيل .

زينب : كان يقول دائما : ليس عندى مستحيل .

كليبر : اذهبى فاطلبيه منه .

زينب : رحلنى إليه .

كليبر : قلت لك لا أستطيع ترحيلك .

زينب : كما رحلت مدام فوريه .

كليبر : هذه عادت أمس .

زينب : عادت ؟

كليبر : ألم تسمعى بذلك ؟ أعادها الإنجليز من نصف الطريق .

زينب : أعادوها .. أين هى ؟

كليبر : أين تكون إلا فى بيتها .

(تخرج زينب منطلقة كالعاصفة وتصطدم فى درج السلاملك بالجنرال مينو والجنرال دوجا والمسيو بوسيلج الذين يصعدون إذ ذاك إلى السلاملك فلا تتوقف لتلومهم أو تعتذر إليهم بل تواصل انطلاقها حتى تغيب) .

مينو : (**صائحا**) ما هذا يا جنرال كليبر ؟ كيف تسمح بهذه الفوضى فى مكتبك ؟

كليبر : (**يطل عليهم**) اصعدوا أولا .

(يصعد الثلاثة ويتبادلون مع كليبر التحية) .

كليبر : ماذا كنت تقول يا جنرال مينو .

مينو : أنت الآن قائد الحملة فى مكان بونابرت العظيم ، فكيف تسمح بهذه الفوضى فى مكتبك ؟

كليبر : تعنى هذه المجنونة التى انطلقت من عندى الساعة ؟

مينو : نعم كادت توقعنا على الأرض .

كليبر : هذه من مخلفات بونابرتك العظيم عليها وعلى صاحبها اللعنة .

مينو : (**يضع أصابعه فى أذنيه**) كلا أنا ما حضرت من الإسكندرية لأسمع هذا منك .

كليبر : فماذا كنت تريد أن تسمع ؟ الثناء المستطاب . والكلمات العذاب ؟

مينو : نعم .. جئت لأتبادل معكم التهانئ بتولى قائدنا العظيم منصب القنصل الأول على رأس الحكومة .

كليبر : هذا الخبر جدير بالتعزية لا بالتهنئة .

مينو : أنت تظلمه يا جنرال كليبر . كل مجد يناله قائدنا فهو مجد لنا .

كليبر : مينو .. لا تثر أعصابى . عار عليك وأنت جنرال فى عهد الثورة أن تتكلم بمنطق العبيد .

مينو : (**غاضبا**) العبيد ؟

كليبر : بل أخس من العبيد .

مينو : أخس من العبيد .

كليبر : الأحرار إذا أرادوا أن يكونوا عبيدا فهم أخس من العبيد .

مينو : هل تسمعان ما يقول ؟

دوجا : إن شئتما أن نسمع فلتتجادلا بالتى هى أحسن .

بوسيلج : أجل .. حتى نستطيع أن نجنى من جدالكما ثمرة طيبة .

مينو : كأنما لم تسمعا الكلمات المقذعة التى قالها الساعة .

بوسيلج : إن أردت الحق فأنت يا جنرال مينو الذى بدأت .

دوجا : اتهمته بالفوضى من أول ما دخلت وقبل أن تسلم عليه .

بوسيلج : وخاطبته وهو قائد حملتنا اليوم كأنما لا قيمة له إلا أنه فى مكان بونابرت العظيم .

مينو : هيه .. نسيت أنكما أيضا صرتما من الناقمين على بونابرت .

دوجا : ومن حقنا ذلك .

بوسيلج : بل من واجبنا .

مينو : لأنه لم يشأ أن يأخذكما معه إلى فرنسا .

دوجا : بل لأنه تخلى عنا بكل جبن ونذالة . أخفق فى بناء مجده الشخصى هنا فمضى يلتمسه فى ميدان جديد .

بوسيلج : ولكى يتخلص من التبعة فى فشل الحملة ويلقيها على كاهل غيره .

كليبر : على كاهلى أنا . ولذلك اختارنى خلفا له لا اعترافا بفضلى كما زعم بل عقابا لى على عدم خضوعى لدكتاتوريته .

مينو : إنك تنكر الجميل يا جنرال كليبر .

كليبر : أى جميل ؟ لو لم يدرك حرج موقفنا فى هذه البلاد والمتاعب الجسيمة التى تواجهنا من كل وجه وتربص الشعب بنا فى كل وقت لأسندها إلى غيرى ممن يمجدونه ويمجدون أفعاله كأحسن ما تكون .

مينو : كأنك تعنينى يا جنرال كليبر .

كليبر : أجل . أعنيك وأعنى الجنرال ديزيه ومن على شاكلتكما من صنائع بونابرت .

مينو : لو كان يعلم أنك ستجحد صنيعه هكذا . .

كليبر : لولّاك أنت ؟

مينو : نعم .

كليبر : كلا لم يشأ أن يوليك أنت إشفاقا عليك .

مينو : إنك تبيح لنفسك التحدث عنه كأنما كنت معه عند سفره .

كليبر : هذا شرف لم يتح لغيرك وقد طلبت منه أن يوليك القيادة فاعتذر لك بأنها ليست فى صالحك .

مينو : (**مرتبكا**) كلا كلا .. من أين عرفت ذلك ؟

كليبر : من عينيك . أكاد أقرأ ذلك فى عينيك .

مينو : اتق شر من أحسنت إليه .

كليبر : ماذا تقول ؟

مينو : هو مثل عربى شّائع .

بوسيلج : على بونابرت إذن ..

كليبر : أن يتقى شرك أنت .

دوجا : لأنه أحسن إليك .

بوسيلج : ولم يحسن إلى أحد منا .

(تدخل بولين ومعها زينب)

مينو : ائذن لى أن أنصرف .

كليبر : كلا بل تبقى حتى ترى بعينيك وتسمع بأذنيك بعض البلاوى التى خلفها لنا صاحبك . (**يلتفت إلى زينب**)

أرأيت يا زينب كيف ردها الإنجليز من نصف الطريق .

زينب : لو كنت مكانها يا جنرال كليبر لما استطاعوا أن يردونى .

كليبر : ماذا كنت تصنعين لهم ؟

زينب : كنت أشعلت النار فى سفنهم فأحرقتها أو نقبتها فأغرقتها .

كليبر : إنها تهذى يا قوم . لقد جنت .

كليبر : كلا لست مجنونة . أنا بكامل عقلى . أرسلونى إلى بونابرت ، أرسلونى إلى زوجى . لن يستطيع أحد أن يحول بينى وبينه ولا أبالسة الجحيم .

كليبر : الأبالسة لا يقدرون ولكن الإنجليز يقدرون .

كليبر : إن كنتم تكرهون الإنجليز حقا فأرسلونى لأغرقن لكم سفنهم واحدة بعد واحدة .

(ينظر بعضهم إلى بعض فى شىء من السخرية وشىء من الرثاء) .

دوجا : من يدرى ؟ لعلها تنجح فيما لم ينجح فيه زوجها .

زينب : بوركت يا جنرال دوجا . أنت دائما رجل حكيم .. سوف أكافئك غدا إن شاء الله حين أكون سلطانة .

كليبر : أما زلت تطمعين فى ذلك بعد ما تخلى عنك السلطان الكبير ؟

كليبر : هو ما تخلى عنى . أنا التى تخليت عنه فى لحظة غضب . ما كنت أعلم أنه صادق فيما كان يقول .

بوسيليج : ماذا كان يقول ؟

زينب : كان يقول إنه لم يستطع أن يحقق مشروعه لأنه بدأه من الشرق وكان عليه أن يبدأه من الغرب .

بوسيلج : أى مشروع ؟

زينب : إمبراطوريته العالمية الكبرى ، دولة فى الغرب ودولة فى الشرق .

كليبر : أتسمعون يا سادة ؟ أتسمع يا جنرال مينو ؟

دوجا : وأنت أين كان يضعك فى الشرق أم فى الغرب ؟

زينب : على عرش الدولة العربية الكبرى التى سيخضع لها كل بلاد الشرق .

كليبر : إذن فانتظريه هنا حتى يعود .

كليبر : كلا . يجب أن أكون بجانبه الآن . ولا سيما بعد ما أسقط حكومة الديركتوار وصار الحاكم بأمره . لأعينه فى كفاحه حتى يستولى على الغرب كله ثم أعود معه لبناء دولة الشرق .

كليبر : أتسمعون يا سادة ؟ أتسمع يا جنرال مينو ؟

مينو : هذا هذيان لا برهان على صدقه .

زينب : هذيان !

مينو : معذرة يا سيدتى . أردت أن أدفع التهمة عن قائدنا ولم أقصد أن أسيء إليك .

كليبر : تكلمى الآن يا مدام فوريه — عفوا — يا مودموازيل بليزل . ألم تسمعى هذا المشروع من فم بونابرت ؟

بولين : بلى وكان يعدنى أن يجعلنى على عرش الغرب .

مينو : لو صح هذا لكان أخذك معه حين رحل ؟

بولين : إنما تركنى خشية أن يغضب جوزيفين . لقد خدعنى وآثر جوزيفين علىّ . آه لو استطعت أن أصل إليه . إذن لفضحته فى كل مكان .

مينو : لو كنت أعلم أن هذا كان قصدك من سفرك لأبيت أن أشترك فى أمر ترحيلك .

بولين : جنرال كليبر . الآن عرفت السبب . الجنرال مينو هذا كان هو السبب .

مينو : ماذا تعنين ؟

بولين : لا ريب أنك أوعزت لربان السفينة الإيطالية أن يشعر الإنجليز بوجودى فيها ليردونى إلى مصر ؟

مينو : ماذا يحملنى على ذلك ؟

بولين : حتى لا أفضح صاحبك فى باريس . لقد كنت لا أُخفى قصدى هذا ولا ريب أنك سمعته منى .

مينو : جنرال كليبر أيرضيك أن تتهمنى هذه السيدة أو هذه الآنسة فى مجلسك ؟

كليبر : أعذرها يا جنرال مينو فقد كانت تود اللحاق بالبطل العاشق الذى فقدته .

بولين : إنى أطالبك الآن يا جنرال كليبر بترحيلى مرة أخرى على يد غير هذا الرجل .

زينب : ورحلنى أنا معها لنأتنس ونتعاون فى الطريق .

كليبر : كلا لا أستطيع الآن يا مودموازيل بليزل .

بولين : لماذا ؟

كليبر : سيظن القنصل الأول أننى تعمدت أن أحرجه .

بولين : أنت أيضا تخاف منه ؟

كليبر : أنا لا أخاف من أحد . ولكنى أربأ بنفسى أن أرتكب مثل هذا الأمر الصغير .

بولين : إذن فعليك أن تعطينى النفقة المقررة .

كليبر : أجبها يا مسيو بوسيلج . هذا من اختصاصك .

بوسيلج : بأى وجه تستحقينها يا مدموازيل بليزل .؟

بولين : أنا من جيش الشرق .

بوسيلج : لست مقيدة فى جيش الشرق .

بولين : كنت زوجة لأحد أفراده .

بوسيلج : ولكنك تخليت عنه .

بولين : تخليت عنه لقائده العام .

بوسيلج : فعلى ذلك القائد أن ينفق عليك من جيبه الخاص .

بولين : وأين هو الآن منى ؟

كليبر : كان عليه أن يترك لك شيئا من القناطير المقنطرة التى أخذها معه من مصر .

بولين : وتركتموه يحمل القناطير المقنطرة معه ثم تبخلون على مواطنة مثلى بما يقيم أودها ؟

بوسيلج : أنا لست مسئولا عن تلك القناطير المقنطرة لأنها لم ترد إلى الخزانة العامة .

بولين : لكنك كنت تصرف لى من الخزانة شهريا يا مسيو بوسيلج .

بوسيلج : بأمر خاص من القائد العام وعلى مسئوليته .

بولين : أنت اليوم قائدنا العام يا جنرال كليبر .

كليبر : لكنى لست السلطان الكبير لا آخذ شيئا لنفسى ولا أنفق على عشيقاتى من الخزانة العامة .

بولين : ماذا أصنع إذن ؟ من أين أعيش ؟

بوسيلج : هذا ما لا أستطيع الجواب عليه .

دوجا : ألم تكونى خياطة فى كاركاسون حين تزوجك الملازم فوريه ؟

بولين : كلا لن أعود إلى تلك المهنة أبدا . لقد نسيتها .

كليبر : عودى إذن إلى مسيو فوريه فهو يريدك .

بولين : بعدما أصبح مدمنا لا يطاق ؟

كليبر : أنت كنت السبب فلو عدت إليه فربما يصلح حاله .

بولين : كلا لا أستطيع أن أعيش معه .

دوجا : لم لا تعملين فى ملهى التيفولى فإن جمالك يؤهلك لذلك ؟

بولين : ليبتذلنى السكارى والمخمورين من الجنود .

دوجا : أوه . ماذا تريدين إذن . أن نجلسك على عرش الغرب ؟

بوسيلج : هذا ليس فى طاقتنا كما تعلمين .

كليبر : بونابرت وحده هو الذى يستطيع ذلك .

بوسيلج : لو تخلص من جوزيفين .

بولين : اسخروا اليوم ما شئتم فوالله لو كان هنا ما جرؤ أحدكم أن يتفوه بكلمة (**يدخل فوريه**) .

فوريه : بونجور يا سيدى القائد العام ، بونجور يا سادة .

كليبر : بونجور . ماذا تريد يا مسيو فوريه ؟

فوريه : زوجتى يا جنرال كليبر . لقد اغتصبها بونابرت منى ثم تركها اليوم فأنا أولى بها من غيرى .

بولين : كلا أنا لاأريدك .

فوريه : هل تريدها أنت يا جنرال كليبر ؟

كليبر : ماذا أصنع بها ؟

فوريه : لتكون مثل سلفك العظيم .

كليبر : كلا أنا لست مثله .

فوريه : إذن فمن الذى ورثها من بونابرت ؟

بولين : لم يرثنى أحد . أنا لست متاعا .. أنا إنسانة .

فوريه : وأنا إنسان يا بولين . أنا إنسان (**يبكى**) أنا أحبك يا بولين ولا أستطيع أن أعيش بغيرك .

بولين : لكنى لا أحبك ولا أستطيع أن أعيش معك .

فوريه : ألا تذكرين أيامنا الحلوة فى كاركاسون ؟ ألا تذكرين يا بولين يوم أخذتك معى إلى السفينة فتنكرت فى زى ملازم جميل ليقبلوك معى فى الحملة .

بولين : كل هذا قد نسيته فاذهب عنى . إنك تخيفنى .

فوريه : لا تخافى.إنى سأنسى كل شيء يا بولين . سأسامحك فى كل شيء .

بولين : كلا لا آمنك على نفسى أبدا . اذهب عنى . اغرب من وجهى . لا أريد أن أراك . لا أريد أن أراك .

(يخرج فوريه متداعيا ملتاث الخطى وهو يبكى وينتحب) .

فوريه : (**صوته**) عليك اللعنة يا بونابرت . عليك اللعنة يا بونابرت .

بولين : آمين .

زينب : لا حق لك يا بولين . إنه رجلنا وأملنا ومستقبلنا .

بولين : هيهات . قد تخلى عنا يا زينب .

زينب : لكنا لن نتخلى يا بولين عنه . سنلحق به أنى يكون . لا بد أن نجد سفينة تحملنا إليه .

بولين : ومن أين ندفع أجر السفينة ؟

زينب : لا تهتمى . أنا التى سأدفع أجرها عنى وعنك . هلمى .. لا ينبغى أن نعتمد على هؤلاء .

بولين : ربما ينكرنا هو هناك .

زينب : حتى لو أنكرنا فإننا لن ننكره . إنه حقنا يا بولين ولن ننزل عن حقنا ما حيينا .

كليبر : لكنا لن نأذن لك بالسفر يا زينب إلا إذا وافق أبوك .

زينب : ما شأنه بى ؟. أنا رشيدة ولست بقاصر .

كليبر : لقد كلمنى فى ذلك فوعدته ولن أخل بوعدى .

زينب : إنه يمنعنى من السفر لأنه يريد أن يقتلنى .

كليبر : هذا غير معقول .

زينب : ألم يكلمك محيى الدين ابن عمى فى ذلك ؟

كليبر : بلى ولكنى ما صدقت كلامه .

(يدخل محيى الدين ومعه أم زينب)

زينب : ها هى ذى أمى قد جاءتك بنفسها لتؤكد لك .

كليبر : أحقا يا سيدتى ما تزعمه ابنتك ؟

أم زينب : نعم يا سيدى الجنرال وكان ذلك سبب انفصالى عن السيد .

كليبر : وهل توافقين أنت على سفرها إلى فرنسا ؟

أم زينب : لا يا سيدى ، ولكن سفرها أهون عندى من القتل .

دوجا : ألا ترسل إلى أبيها لتسمع ما عنده ؟

كليبر : صدقت .. (**ينظر أمامه**) ها هو ذا والدها قد جاء من تلقاء نفسه .

(يدخل خليل البكرى)

خليل : أجل جئت مسرعا يا سيدى الجنرال لما بلغنى أن هؤلاء قد جاءوا يفترون علىّ عندك .

زينب : كلا يا أبى لا أحد يفترى عليك . أنت حقا تريد أن تقتلنى .

خليل : يا بنتى لا تصدق ما تقوله أمك . ماذا يدفعنى إلى ذلك .؟

زينب : تريد أن تتخلص من عارك بزعمك ؟

خليل : كلا يا بنتى لو كان هذا صحيحا لأذنت بترحيلك إلى الخارج حيث تنقطع أخبارك وتنطمس آثارك ، ولكنى حلت دون سفرك عطفا منى عليك خشية أن تتشردى فى تلك البلاد النائية وتلاقى صنوف المذلة والهوان .

زينب : أنسيت يا أبى أن هناك زوجى ؟

خليل : الذى أبى أن يحتفل بزواجك هنا ، كيف تطمعين أن يحتفل به هناك ؟

كليبر : كلام سديد .

أم زينب : كلا يا سيدى الجنرال لا يغرنك كلامه الناعم . إنه أقسم ليقتلنها . سمعته بأذنى هاتين .

كليبر : ما أحسب السيد خليل يجرؤ أن يقتل قطة .

أم زينب : لن يقتلها بيده . استأجر جماعة من المجرمين ليتولوا ذلك .

خليل : هذا كذب وبهتان . إنها تكيد لى لأنى طلقتها .

أم زينب : سل ابن أخيه يخبرك .

كليبر : ماذا تقول ؟

محيى الدين: أجل يا سيدى الجنرال . أنا رأيتهم بعينى يتربصون بها ويقتفون خطاها .

خليل : وأنا الذى أوعزت إليهم يا محيى .؟

محيى الدين: لا أدرى .

أم زينب : لا أحد غيره يا سيدى الجنرال . ارحمنى . إنى أبيت

مذعورة وأصحو مذعورة .

كليبر : يا سيد خليل أنت صديقنا فلا تضطرنا إلى عمل يغض من مقامك .

خليل : لا تصدقهم يا سيدى الجنرال .

كليبر : اسمع . إن مس زينب أى سوء فأنت المسئول .

خليل : كأنك صدقتهم يا جنرال كليبر وكذبتنى .

كليبر : هذا قرار لا نقاش فيه .

خليل : إذن فعليها أن تعود إلى الحريم كما كانت .

زينب : كلا لن أعود إلى العبودية أبدا .

خليل : يجب أن تلزمها بذلك يا جنرال كليبر . العامة لا يطيقون رؤية فتاة مسلمة تخرج سافرة فى الطريق ، فأنا غير مسئول عما يصيبها منهم .

زينب : أجل هو غير مسئول عما يصيبنى . لا أريد حماية أحد .

خليل : ويجب أن تتزوج من ابن عمها محيى الدين .

أم زينب : أجل يا زينب . ابن عمك يريدك وهو أولى الناس بك ، وكنت تحبينه كما يحبك .

زينب : كلا لا أقبل أن يكرهنى أحد على ما لا أريد .

خليل : أرأيتم عنادها وتعنتها ؟

محيى الدين : ألا تحبيننى يا زينب ؟

زينب : أنت تعلم أنى أحبك يا محيى الدين وأقدرك ، ولكنى لا أستطيع أن أتزوجك .

محيى الدين: فيم يا زينب ؟

زينب : أنت لا تستطيع أن تجعلنى سلطانة . هل تستطيع ؟

محيى الدين: لا .

زينب : ولا أن تعيد وحدة الأمة العربية التى مزقها الصليبيون والتتار والأتراك والمماليك . هل تستطيع ؟

محيى الدين: لا .

زينب : ولا أن تجعل القاهرة عاصمة الدولة العربية الكبرى التى يدين لها كل بلاد الشرق . هل تستطيع ؟

محيى الدين: لا .

زينب : فكيف تريد أن تتزوجنى يا محيى الدين ؟

محيى الدين: السعادة يا زينب لا تتوقف على هذه المطالب .

زينب : لكن الحياة تتوقف عليها يا محيى الدين ، ولا سعادة بغير حياة .

محيى الدين: هذه أوهام يا زينب .

زينب : كلا ليست بأوهام .

محيى الدين: لن تتحقق أبدا .

زينب : بل هى آتية لا ريب .

(يستمع الجميع إلى هذا الحوار بينهما مدهوشين متعجبين) .

محيى الدين: قد ذهب من مناك بها وتخلى عنها وعنك .

زينب : إن تخلى عنها فهو غريب . ولكنى أنا منها وهى منى فلن

أتخلى عنها أبدا . سأظل أنتظر وأنتظر .

محيى الدين: إلى متى يا زينب ؟

زينب : (**كالحالمة**) إلى أن يجيء الفارس البطل على فرسه الأدهم ويومئ بأصبعه فإذا الأمة العربية يجمعها علم واحد . وإذا القاهرة عاصمتها المزدانة وإذا أنا على عرشها سلطانة ..

(ستار الختام)

رقم الإيداع : ١٩٩٠/٨١٧٩
الترقيم الدولى : 8 - 0622 - 11 - 977





دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه